

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي

رقم التسجيل: 280120232296106163

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بغنوان

خماسية عبد الحميد بن هدوقة:

دراسة أنثروبولوجية

إعداد الطالبة: زواوي زهرة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	جامعة	الرتبة	اسم ولقب الاستاذ(ة)
رئيسا	محمد بوضياف	أستاذ محاضر	د. مهدي عمار
مشرفا ومقررا	محمد بوضياف	أستاذ محاضر	د. العربي عبد القادر
مناقشا	محمد بوضياف	أستاذ محاضر	د بن قمر فضيلة

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل الذي اختار لي أن أكون شبعة تنير
طريق الآخرين .

أشكر مشرفي وموجهي الدكتور العربي عبد القادر الذي
كان نعم المشرف بأخلاقه وعلمه .

أشكر ابني طه الأمين الذي تحبل معي عبء هذا العمل ،
فكان نعم المعين ، أشكر ابني محمد الأمير الذي كان
نعم المساعد .



إهداء

أهدي هذا العمل إلى روجي التي جعلت من نفسي إنسانة

محبة معطاءة وخيرة.

قدمت نورا للجميع



مقدمة

مقدمة:

تعد الأنثروبولوجيا العلم الذي يقوم بدراسة الإنسان، فالإنسان كائن اجتماعي لا يمكن أن يعيش بمفرده، تربطه بالغير علاقات اجتماعية في ظل ثقافة معينة، بأسلوب معين فالأنثروبولوجيا تعمل على دراسة هذا الكائن وكل ما يهتم به.

يعد هذا العلم علم جديد له مجموعة من الاتجاهات وتفرعت هذه الاتجاهات إلى عدة فروع، كل فرع منها يدرس جانب معين من هذا الكائن، ولهذا فإن هذا العلم له علاقة وطيدة بالعلوم الأخرى ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

اختياري للمنهج الأنثروبولوجي ولروايات ابن هدوقة كانت لدوافع ذاتية وموضوعية: من الدوافع الذاتية هي اهتمامي بأعمال ابن هدوقة منذ زمن. فأنا من قرائه أسلوبه يغذي ميولي، وكذا كان محل دراسة لنيل شهادة الليسانس (كلاسيكي) سنة ألفين بجامعة الإخوة منتوري بقسنطينة بعنوان الثلاثية في روايات ابن هدوقة، تحت إشراف الدكتور عمرو عيلان.

أما الدوافع الموضوعية كانت في اختياري للمنهج الأنثروبولوجي باعتباره منهج جديد ولم يسبق أن طبق على أعمال ابن هدوقة على حسب اعتقادي: فأردت خوض تجربة جديدة، ولذلك كان اهتمامي بروايات "عبد الحميد بن هدوقة" لأنه عالج مواضيع اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية بأسلوب واقعي هادف، ولأن عبد الحميد بن هدوقة من كبار الأدباء الجزائريين العرب الذي ذاع صيته في العالم فتكفيه أن تكون ريح الجنوب الانطلاقة الحقيقية للرواية الجزائرية العربية. إذ تطرقت في دراسة هذه الروايات (ريح الجنوب، نهاية الأمس، بان الصبح، جازية والدرأيش غداً يوم جديد) إلى أهم ما يهتم به الإنسان (المرأة والثورة والأرض) معتمدة مكوني الأنثروبولوجيا الاجتماعية والسياسية. لأن هذه الروايات هي صورة للواقع المأساوي للمجتمع الجزائري في حقبتين قبل الاستقلال وبعد الاستقلال ولأن عبد الحميد بن هدوقة عرف بثلاثية المرأة والأرض والثورة، فلا بد أن نغوص في هذه الثلاثية بعنوان مذكرتي خماسية عبد الحميد بن هدوقة: دراسة أنثروبولوجية (ثلاثية المرأة والأرض والثورة).

وقد طرحت الكثير من التساؤلات في هذا العمل أبرزها: ما أشكال الحضور الأنثروبولوجي في روايات ابن هدوقة؟ وقد تفرع هذا الإشكال إلى إشكاليات فرعية منها: ما هو مفهوم الأنثروبولوجيا؟ ما هي أهم فروعها؟ ما هي علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم والفنون الأخرى؟. ما أهم الأنماط الأنثروبولوجية الطاغية في المتن الروائي؟. ما هو المنهج الأنثروبولوجي؟. وما علاقته بالنص الأدبي؟.

وبما أن هناك علاقة وطيدة بين الأنثروبولوجيا والرواية. فكان لا بد أن نتطرق إلى هذا الجنس الأدبي. وأكثر ما يجلب الاهتمام هو كيف يمكن للرواية منذ نشأتها أن تقوم بدور المصور الفوتوغرافي لنقل انشغالات الإنسان في المحيط الذي يعيش فيه. فقط أردت أن أبين ما الدور الذي تلعبه الرواية في المجتمع؟ وما خصوصية الرواية المغاربية؟، وما خصوصية الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والمكتوبة بالعربية؟.

وقد اعتمدت لمناقشة هذه التساؤلات خطة تضمنت مقدمة وثلاثة فصول خاتمة، فخصصت الفصل الأول والثاني للجانب النظري تحت عنواني المنهج الأنثروبولوجي والرواية تصور واقع الانسان، أما الفصل الثالث فهو تطبيقي تحت عنوان تجليات الأنثروبولوجيا في روايات ابن هدوقة (ثلاثية المرأة والأرض والثورة) - الفصل الأول تطرقت لموضوع الأنثروبولوجيا كعلم جديد له فروع ومجالات وعلاقته بالأجناس الأدبية وكما ركزت على المنهج الأنثروبولوجي وعلاقته بالنص الأدبي خصائصه وأدواته أما الفصل الثاني فكان بعنوان الرواية تصور واقع الإنسان في الرواية، تطرقت لنشأة الرواية ودورها في نقل الواقع الاجتماعي، خصوصية الرواية المغاربية والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والمكتوبة باللغة العربية أما الفصل الثالث كان معنوناً بتجليات الأنثروبولوجيا في روايات ابن هدوقة الخمس ثلاثية المرأة والأرض والثورة: المرأة في روايات ابن هدوقة، الأرض في روايات ابن هدوقة، الثورة في روايات ابن هدوقة أردت أن تكون ثورة ضد مستعمر وثورة نفسية ضد واقع.

لأختم هذا العمل بخاتمة تتضمن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج إضافية.

هناك الكثير من المصادر المراجع التي ساعدتني أهمها روايات ابن هدوقة الخمس: ربح

الجنوب. نهاية الأمس، بان الصبح، الجازية وال دراويش، غدا يوم جديد، كذلك كتب أخرى التي استفدت منها في هذا البحث، غير أن هناك صعوبات واجهتني في هذا البحث هي قلة المراجع الخاصة بعلم الأنثروبولوجيا التي تناولت الرواية باعتبار أنه علم جديد. وأكبر مشكلة واجهتني هي هاجس الوقت.

وفي الأخير نتقدم بالشكر لله تعالى وللمشرف الذي ساعدني كثيرا واهتم بموضوعي ولا أنسى اللجنة الكريمة التي تحملت عبء قراءة هذا العمل.

الفصل الأول

المنهج الأنثروبولوجي

تمهيد:

تعد الأنثروبولوجيا علما أو منهجا من العلوم الإنسانية التي تلاقي روجا كبيرا وشهرة واسعة، خصوصا في الدول الأنكلوساكسونية وبشكل متميز في الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها خليط ومزيجا من الثقافات. أغلب الإبداعات النظرية والعلمية كانت في هذا البلد واتسمت الأبحاث الأنثروبولوجية في مجملها بالنزعة الثقافية، وأطلق علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين اسم أصحاب المرجعية أو التيار الثقافي ومن الدول التي اهتمت هي الأخرى بالأنثروبولوجيا (فرنسا) من خلال مجموعة من الأسماء العالمية أمثال:

Marcel Mauss, Georges Dumézil, Claude Lévi-Strauss¹

لكن ضبط المفهوم الأنثروبولوجي، هذا ما اعترضنا خلال عملية بحثنا لأنه علم جديد

متشعب.

أول ما نبدأ به من الناحية المنهجية هو التعريف الاشتقاقي واللغوي.

¹ مصطفى تيلون، مدخل عام الأنثروبولوجيا، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص9.

1- مفهوم الأنثروبولوجيا:

1-1 لغة: معنى "أنثروبولوجيا" «anthropologie» كلمة إغريقية «anthropos» ومعناها الإنسان ولوغوس «logos» معناها خطاب أو بحث أو دراسة أو عل¹ وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ علم الإنسان أي علم الذي يدرس الإنسان.

1-2 اصطلاحاً: تعرف الأنثروبولوجية بأنها "(علم الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاً"² ومنه فمصطلح الأنثروبولوجيا يعني دراسة الإنسان وتطوره وتميزه عن بقية الكائنات الحية.

2- أهداف دراسة الأنثروبولوجيا:

استناداً إلى مفهوم الأنثروبولوجيا فإن دراستها تحقق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها فيما يلي:

- "وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملاتهم في حياتهم اليومية.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية تعد دراستها دراسة واقعية وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).

¹ مصطفى تيلون، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، المرجع السابق، ص 9.

² عيس الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، من منشورات اتحاد الكتاب العرب مصر، 2004، ص 13.

■ تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان وأسباب هذا التغيير وعملياته بدقة علمية وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة بإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

■ استنتاج المؤشرات والتوقعات اتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها وبالتصور بالتالي إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.¹

ويبدو أن التباين العرقي بين بني البشر، هو الخاصة البيولوجية التي ستأثر باهتمام العالم الحديث أكثر من سائر الخواص البيولوجية الأخرى عند الإنسان.¹

3- محاور الدراسة الأنثروبولوجية:

حدد الدارسون محاور أساسية تركز عليها الدراسات الأنثروبولوجية بصفة عامة وتطورت في إطارها وتتخصص فيها أكثر من أي علم من العلوم الإنسانية المتقاطعة معها وهي:

■ "المحور الأول: العلاقة بين الثقافة والبيولوجيا.

■ المحور الثاني: العلاقة بين الماضي والحاضر ودورهما في تطوير سلوك الإنسان عبر الحقب التاريخية.

■ المحور الثالث ويبحث وحدة النوع البشري وتنوعه عبر تغييره من حيث الصفات البيولوجية والثقافية لأفراد والجماعات".²

ومن هنا تفرعت الأنثروبولوجيا إلى فروع منها طبيعية واجتماعية وثقافية... إلخ، كما لم تبق الأنثروبولوجيا علماً قائماً على أصل واحد بل تعددت أوجهها وتشاكلت مع روع أكاديمية لتشكل (الأنثروبولوجيا) " في نهاية الأمر منهاجاً يسعى إلى تجمع المعرفة بالإنسان من كافة

¹ عيس الشماس، المرجع السابق، ص 15.

² بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان، قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدمات البديل، مؤسسة الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص39.

الجوانب وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومتربط عن الإنسان وحياته ونتاجه الحضاري في الماضي والحاضر، ومن ثم يكون لديها القدرة على استقراء أنماط الحياة المستقبلية¹ وبالتالي أصبح مصطلح الأنثروبولوجيا مصطلحاً شاملاً وواسعاً فهو علم الإنسان وأعماله وسلوكه بوصفه كائناً اجتماعياً وحضارياً وله عادات وتقاليد وطقوس وممارسات دينية خاصة، تختلف من جماعة إلى أخرى.

4- أقسام الأنثروبولوجيا:

تحتوي الأنثروبولوجيا على الكثير من الفروع التي تختلف باختلاف الموضوعات التي حاولت الأنثروبولوجيا أن تعرفها ففروعها كثيرة ولا يمكن حصرها في هذا السياق فسنتناول ما يهم:

4-1 الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الطبيعية "بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية والتغيرات التي تطرأ عليه بفعل الموروثات كما يبحث في السلالات الإنسانية من حيث البشرية وخصائصها بمعزل ثقافة كل منها"²، وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا الطبيعية أو العضوية، تركز حول دراسة إنسان نتاجاً لعملية عضوية ومن حيث الدراسة التجمعات البشرية السكانية وتحليل خصائصها.

لذلك أضحت الأنثروبولوجيا الطبيعية محل استغلال واسع في تحديد النوع الأمثل والجنس الأمثل والعرق الأمثل والسلالة المثلى.

فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية: تفرعت الأنثروبولوجيا الطبيعية إلى فروع أهمها:

"علم الحفريات (الباليونترولوجيا): وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته ومن ثمة مراحله الأولية وتطوره من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة فهو مقصور على البحث في النوع البشري.

¹ حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا، فصل في تاريخ علم الإنسان، علوم المعرفة، 9 فبراير 1986، ص 18.

² زهري مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود الأثر، السعودية، 2013-2014، ص 21-22.

علم الأجسام:

أ- البشرية (السيماثولوجيا) وهو علم الذي يدرس الصفات العضوية لإنسان البدائي المنقرض والأنسان الحالي من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية¹ ومنه فالأنثروبولوجيا الطبيعية تدرس تطور الإنسان من الجانب البيولوجي وترتبط أكثر بالعلوم الطبيعية.

4-2 الأنثروبولوجيا الثقافية:

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية في كلياتها بالإنسان من حيث هو عقل وينتج ثقافة ويراكمها في مجتمع معين وفيه تتم دراسة الثقافات ومكوناتها من النظم الإدراكية الفردية والنظم القسمة الجماعية والأساطير والعادات والتقاليد والأديان.

الأنثروبولوجيا الثقافية: تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه عام " بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع له ثقافة معينة وعلى هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً تتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (جماعة) المحيط به، يتحلى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدث بلغة قومه"²، ولذلك فإن الأنثروبولوجيا الثقافية هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية وأيضاً تهتم بأساليب حياة الإنسان وسلوكاته تهتم بأساليب حياته النابعة من ثقافته ما تدرس الشعوب القديمة وثقافتهم والشعوب المعاصرة.

أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

علم الرغم من تعدد العناصر الثقافية وتداخل مضمونها وتفاعلها على النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني فقد اتفق أنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية الى ثلاثة أقسام: "اللسانية: وهو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية المنقرضة والحية ولا سيما المكتوبة منها السجلات التاريخية مثل اللاتينية واليونانية القديمة واللغات الحية المستخدمة في الوقت الحاضر كالعربية والفرنسية والانجليزية ويهتم دارسو اللغات بالرموز اللغوية

¹ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، اتحاد كتاب العرب، مصر 2004/3/1، ص 82.

² المرجع السابق، ص 69.

المستعملة إلى جانب العلاقات القائمة بين لغة شعب ما والجوانب الأخرى من ثقافة باعتبار اللغة وعاء ناقل للثقافة¹

لذلك فإن هذا الفرع يتعامل مع وصف اللغة أي طريقة تكوين الجملة أو تصريف الفعل أو تاريخ اللغة أي طريقة تطور اللغة وتأثيرها في بعضها البعض عبر الزمن.

وتنقسم اللغويات إلى قسمين رئيسيين دراسة شكل اللغة ويهتم بدراسة تركيب اللغة لبعض التراكيب والكلمات لتنتقل وإرسال مهني معين بهدف إزالة الغموض المحتمل من استخدام تراكيب أخرى وهناك أقسام أخرى للغويات: اللغويات التطويرية، اللغويات التاريخية اللغويات الاجتماعية، علم لغة النفسي، اللغويات العصبية².

علم الآثار: علم الآثار هو ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية الذي "يهتم بدراسة واكتشاف البقايا المادية في الثقافات المنقرضة أو القديمة وذلك بهدف التوصل إلى وصف وتفسير السلوك الإنساني"³.

كما نجد أيضا علم الآثار يضم إلى الأنثروبولوجيا الطبيعية أحيانا "أغراض التدريس وهو ثقافي أكثر من كونه بيولوجيا لأن علم الآثار يدرس المعلومات عن الثقافات البشرية التي يمكن الحصول عليها من التنقيب الواعي على المساكن القديمة والنص وأشياء الغنية والأدوات والأسلحة وأعمال إنسان الأخرى التي خطتها أترية الزمن"⁴.

علم الثقافات المقارن أو الأنثولوجيا:

"يمكن تعريف الأنثولوجيا بأنها الدراسة التاريخية والمقارنة الثقافية أو الشعوب وتمثل السلالة وحدة الدراسة الإنسانية فيها كما عرفها علم الأنثروبولوجيا السوفياتية أو الأوروبية قد "كوبر" ميدان" دراسة الأنثروبولوجيا التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا

¹ ازهري مصطفى صادق على، الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية، ص 12.

² المرجع السابق، ص 39.

³ عبد الله عبد الغني غانم، الأنثروبولوجيا الثقافية، مكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ط2، ص12.

⁴ بيرلي ج بيرتو، دراسة الأنثروبولوجية المفهوم والتاريخ، تر: انظر سعد الدين دار الحكمة، 2010، ص 48.

الاجتماعية، ويستخدم مصطلح الأنثولوجيا بدل من مصطلح الأنثروبولوجيا في عديد الدول الأوروبية وخاصة خاصة دول شرق أوروبا حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون علم عام لدراسة إنسان بدون الدراسة التاريخية والميدانية للثقافات الجماهيرية والبليلة والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة".¹

3-4 الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية "بأنها دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة"² و"التنظيمات الاقتصادية واجتماعية والسياسية والدينية وإجراءات القانونية وغيرها".³

ومنها يمكن القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالشعوب وتحديدًا تركّز على دراسة المؤسسات كبنيات اجتماعية رمزية ومادية من ثمة يهدف إلى بالبحث الأنثروبولوجي الاجتماعي دراسة الفروق بين الشعوب في مختلف الحضارات والأزمنة وقد تمتد إلى دراسة النهايات وطرق التفكير الجماعي، "ويوصف علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية أنه علم حديث العهد لا بل أكثر العلوم الاجتماعية حداثة. فقد استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية للمرة الأولى في عام 1980 عندما كرمت جامعة ليفربول في بريطانيا السيد جيمس فريز" ومنحه لقب أستاذ".⁴

ومما يدل على حداثة هذا العلم الذي يدرس الجانب التطبيقي من البنى الاجتماعية ذلك الاختلاف الذي لا يزال قائماً بين علماء الاجتماع حول تسمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية ولكن على الرغم من حداثة هذا العلم فقد مر بمراحل متعددة أسهمت في نشوئه وتطوره واستكمال عناصره إلى حد بعيد بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر تهدف الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة حول تسمية الأنثروبولوجية الاجتماعية أهداف أهمها: "تحديد

¹ أزهرى مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، ص 82.

² مارك أوجيه، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديدة، ط2، 2008، ص 7.

³ مارك أوجيه جان بول، تر جورج كتوره، دار الكتاب الجديد، ط2، 2008، ص 7.

⁴ عيسى الشماس، المرجع نفسه، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ص 82-83.

نماذج عالية للأبنية الاجتماعية. تحديد مظاهر التداخل الترابط بين النظم الاجتماعية. تحديد التغيير الاجتماعي".¹

4-4 الأنثروبولوجيا الدينية:

تندرج أنثروبولوجيا الدين بوجه العموم "تحت تقليد مادي متحرر من التأويلات اللاهوتية إلى أنها كانت ولفترة طويلة متأثرة بديانات الكتاب"²، ولم يكن الدين بمنأى عن البحث والدراسة والتحميم بوصفه عتبة من عتبات فهم إنسان المتعبد.

فالدين من حيث هو منظور أنثروبولوجي بنسق من المعتقدات والممارسات الطقسية مارسها أيضاً التكرار بصفة فردية وجماعية، وتجلى في سلوكياته ويعرف بأن "الدين هو نشاط رمزي يتمتع بنمط خاص به يحمل بعد عاطفي إنه نشاط رمزي، لا ينبغي أن يقطع شروحاً شعائر عقار مؤسسات بل أن يفهم بشكل عام كأنه نشاط ثقافي"³، فهذا التعريف من المنظور الآخر والذي يرى بأنه يمكن تقطع الدين بل البد من فهمه.

والمهمة الأولى للأنثروبولوجيا الدينية تتمثل في تحديد ما يميز رموز المقدسة عن الأنواع الأخرى من الرموز.

الطقوس: إنها تفترض مراحل تدريب متعددة تتوافق مع نقوش التي تنعكس على الجسد. مثل التضحيات والتشوهات الجنسية أو التحولات الفيزيائية الأخرى "أي أنها إجراءات عبادة دينية بحيث تمارسه جماعة ثقافيه لسلوكيات الاعتيادية لدين أو شريعة دينية أو عادة ثقافية مثل احتفاليات الميلاد هناك طقوس في حلق الشعر وكذلك العقيدة وغيرها.

التابو (المحرم): كلمة مشتقة من "مصطلح بولينيزي ويمكن ترجمة المصطلح البولينيزي الأصلي بكلمة المقدس ويعني الجمع بين القوة الطقوسية الدينية والخطورة الطقوسية أيضاً.

¹ المرجع السابق، ص 87.

² مارك اوجيه جان بول كولايين الأنثروبولوجيا تر جورج كلروه، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2008، ص 50.

³ جان بول ويليم في علم الاجتماع، بسمة على بدران، ج-ج للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1421 - 2002، من 54.

4-5 الأنثروبولوجيا السياسية

كونها مادة تطمح لاكتساب الحالة العلمية " فإن الأنثروبولوجيا السياسية تقرض نفسها أولاً كطريقة اعتراف ومعرفة بالأمور السياسية لمستغربة وبالأشكال السياسية الأخرى إنها أداة اكتشاف ودراسة شتى المؤسسات التي حقق حكم الناس فضلاً على أنها أداة اكتشاف لنظم التفكير والرموز التي تستند إليها " لذلك فهي تعد مجموعة العمليات الثقافية المستخدمة في صنع القرار للسياسات العامة مثل (التعليمي، الصحي، الصناعي).

حيث يرى بعض الباحثين " تأثر بكل من مين ومورجان أن التصورات الاقليمية هي أصل ومركز اتساق السياسة التي تحدد وتعمل داخل نطاق إقليمي معين".¹

كما اهتمت الأنثروبولوجيا السياسية بدراسة بنية النظم والأحزاب والبيانات السياسية ونلاحظ أن أغلب الأنثروبولوجيين يلجؤون " ضمناً وصراحة إلى استخدام تنميط لتطور الأنساق السياسية وأبرز تلك التنظيمات ذلك المستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية والذي وضعه ستوارد Steward وفيه قسم المجتمعات أو الأنساق السياسية إلى المراحل التالية العصبية، القبلية - والكيان الرئيسي والدولة".²

لذلك تبدو الأنثروبولوجيا السياسية "علماً" يستعرض المجتمعات القديمة التي لم يكتمل بناء الدولة فيها أو أخرى حيث الدولة موجودة بأشكال متنوعة جداً.
ولا يزال ميدان الأنثروبولوجيا السياسة بسبب حداثة نسبها يعاني من عدم اكتمال نمو نماذجه المنهجية.

¹ سميت شارلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، تر: علياء شكري، المركز القومي للترجمة، ط2، ص 177.

² المرجع السابق، ص 242.

5- علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب

باعتبار الأدب فنا فهو إذن إبداع وكثيرا ما يكون هذا الإبداع ذا محمول ثقافي ومعرض للشعب أو مجموعة بشرية ما، كالعادات والقيم الاجتماعية والطقوس الدينية والعلاقات الأسرية وأساليب العيش والذوق....

إلا أن الأدب يقدم لنا الصور بأساليب رمزية تخترق الكثير من الدلالات والإيحاءات التي تحقق للمتلقي المتعة الفنية والثقافية، ومادام الفن أو الإبداع يحمل هذا المضمون الثقافي فإنه يجعل الفن موضوعا للأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية، يعرف هذا التخصص بأنثروبولوجيا الفن إذا اقتصر البحث في مجال اللغة والرمز والنظم التي تتضمن الدلالة، يعرف الباحث أنثروبولوجيا الأدب: على السياق الثقافي والاجتماعي في المجتمع".¹

لذا نعتبر أن النص الأدبي مجال أنثروبولوجي ساعد الدارس لأنثروبولوجي في البحث "عن القواعد غير واعية والموجودة في كل المجتمعات المبنية على المعتقدات والعادات والتقاليد".²

فالنصوص الأدبية هي محط اهتمام مختلف تخصصات العلوم الإنسانية، لكونها ذات محمول ثقافي واجتماعي لذلك "كان على دراسة النصوص الأدبية بعين أنثروبولوجيا واجتماعية أو سيميوطية أو نفسية أو نقدية أن تأخذ بعين الاعتبار السياقات"³

واعتبارا لذلك يجب النظر للأدب نظرة شمولية من مختلف العلوم الإنسانية لمعالجة النص الأدبي هو التفكير حول مسألة التمثل la representation ومنها التمثل الرمزي أي ذلك الإطار الأنثروبولوجي الواسع الذي يدعو لوضع النصوص الأدبية في مجموع الإنتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم والآخرين، وبالتالي معرفة ذاته أيضا، كما يرى "ادوارد سعيد" أن ما يهم من الأنثروبولوجيا ذلك المتمثل في "أنثروبولوجيا" ما بعد

¹ السيد: حامد أدب توفيق الحكيم دراسة أنثروبولوجية، مصر، ص 30.

² Claude levi strauss :anthropologie structurale. De l'académie fracaais agora pochet1974p :1.

³ غيوب بابة: الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة ل: عابر سبيل غارسيا ماركيز الأمل للطباعة والنشر والتوزيع المدينة الجديدة تيزي وزو، ص 63.

الحدث وهو الاتجاه الذي يهتم بشكل عام الدارسين المتأثرين بالنظرية الأدبية، أو على نحو أكثر دقة واضعي النظريات الحديثة في مجالات الكتابة والخطاب وأنماط السلطة، يمكن القول لا توجد سوى قلة من السلطة، من أمثال "فوكو" و"رونالن بارت" و"جاك دريدا"... هؤلاء الباحثين يخفون رغبتهم في أن تكون الأنثروبولوجيا والنصوص الأنثروبولوجية أكثر أتاحا من ناحية الأدب والنظرية الأدبية ومن حيث الأسلوب والرؤية وفي أن ينفق الأنثروبولوجيون وقتا أطول في التفكير في أمر النصية¹ ففي ظل نظرة العلوم الإنسانية إلى الأدب على أنه وحدة واحدة لا يمكن الفصل بنيته اللغوية على سياقه، يرى الباحث الأنثروبولوجي جيليردراون أنه "لا يمكن الفصل بين علوم الثقافة مثل النقد الأدبي والأدب وعلوم المجتمع."²

يبدو أن التوجه نحو السوسيولوجي دون اعتماد الجانب للمجتمع أو التوجه نحو الثقافة دون تأصيل اجتماعي ودون ذلك الأساس الشعبي كما تمناه "ريتشارد" وهو في حد ذاته لا معنى للمطلق.³

لذلك مستحيل أن تنتم الدراسة الأنثروبولوجية على النصوص الأدبية دون يشتغل السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أنتجته، أي باعتبار النص استمولوجيا ويعبر جيليردوران " عن هذه العلاقة القائمة بين كاتب النص الأدبي والظروف التي أنشأت هذا النص " بالمسيرة الأنثروبولوجية"، فبين الوعي الفردي الذي يتلفظ به، أو بالأحرى يكتب نصه ومجموع التبليغات السياقية للبيئة والمجتمع ذهابا وإيابا، غير منقطع عن أي " مسيرة أنثروبولوجية"⁴ وكما يعرفها كاتب آخر "هي التبادل الدائم الذي يوجد على مستوى التخيل بين الغرائز الذاتية والتمثيلية، وبين العوامل الموضوعية الصادرة عن المحيط الكوني والاجتماعي،

¹ غييوب باية، المرجع السابق، ص 63.

² إدوارد سعيد تمثيل التابع والمحاورون الأنثروبولوجي فيصول: ع: 68 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006 ص202

³ المرجع نفسه، ص202.

فالتخيل ما هو إلا هذا المسار الذي يتشكل فيه ويتقلب تصور شيء ما من خلال الحاجات الغريزية للشخص والذي تفسر فيه التصورات الشخصية".¹

إلا أن القارئ يبين ما يقدمه عالم الأنثروبولوجيا أو الاجتماع من تقارير تختلف عما يقدمه الإبداع الأدبي من نصوص سردية روائية قصصية درامية. رغم أن الأنثروبولوجيا بدراستها الشمولية للإنسان وسيرورته عبر التاريخ غير أن منطلقات بحوثها تركزت على المجتمعات البدائية ومخلفاتها الفنية والثقافية، باعتبار الأدب من أهم الوسائل التعبيرية التي لجأت إليها الشعوب للتعبير عن واقعها المادي والفكري فإن أنثروبولوجيا الأدب إنكبت على دراسة وتحليل بعض الأجناس الأدبية كالمرح والاسطورة الحكايات الشعبية والرواية، أي ما يطلق عليها بالفنون اللغوية أو الفنون القولية. تتقلص المسافة أكثر بين الأدب والأنثروبولوجيا وتقوى العلاقة بينهما "كلما كان الفنان أو الأديب مندمجا مع مجتمعه وثقافته ومن ثم يكون أكثر قدرة على أن يبدع منتجا ثقافياً يمثل الواقع الاجتماعي والثقافي ويكشف عنها".²

مثلا يشغل الباحث الأنثروبولوجي على البشرية وتطورها وتفاعلها على بعضها البعض وما يتولد عنه من تنوع في مجتمع البشري كذلك الناقد الأدبي يشغل على جنس أدبي وهو يتولد عبر التاريخ إما عن تحول مشكل قديم أو من تخصصات معرفية أخرى.

5-1 البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي:

ستظل النصوص الأدبية الشفوية والمكتوبة محل دراسة وبحث من قبل الباحثين في مختلف العلوم الإنسانية تاريخ الأدب، النقد الأدبي، علم الاجتماع الأدبي، علم النفس، التحليلي البسوكو نقد، السومك وغيرها من المناهج التحليلية والوصفية.... ويدل هذا الاهتمام أن دراسة الأدب ومعالجة نصوص ستظل ممارسة ثابتة على مر الزمن، وعلى الرغم من اختلاف هذه المناهج في طرقها التحليلية، وفي نتائج التي من كونها إنتاج فني ظل تتوصل إليها، فإنها ولا شك ذلك تتعامل مع النصوص. انطلاقا من كونها إنتاج فني فيظل سياق معين.

¹ داوود محمد: البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي. أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، ص 12.

² السيد حامد، أدب توفيق الحكيم، دراسة أنثروبولوجية، مصر، ص 30.

تعتبر الظروف المحيطية والمؤطرة لإنتاج النص حجة في حد ذاتها تمهد وتبلور فكرة الأساسية الكتابية، أي ما قبل النصف "Le texte pee" فعلية فإن دراسة النصوص لها أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب المختلفة التي أنشأت الكتابة والإنتاج الأدبي.

وعلى خلاف الشعرية البنيوية، التي كانت تركز في بداياتها الأولى على أدبية النص في حد ذاتها، بذلك النصوص إلى بنيات لغوية واتساق أسلوبية، دون إلحاقها بالمنهج التاريخي الاجتماعي تطور هذه التوجهات العلمية نحو السيميوطك جعلها تخضع هذه النصوص إلى مقاييس جديدة. ومن ضمن هذه المقاييس، يمكن للنص الأدبي خطابا يملك آلية داخلية، لكنه يرتبط بالسياق الذي أنتجه.

ففي ظل هذا الحديث، يمكن القول أن عملية إنتاج الأدب معقدة تتدخل فيها عدة عوامل، وبسبب أنه يملك طريقة خاصة.

6- المنهج الأنثروبولوجي:

"يعتبر المنهج الأنثروبولوجي من البحوث الكيفية، ويعتمد أساسا على الدراسة الميدانية لأن دراسة الجانب الاجتماعي أو غير ذلك لأي مجتمع يفرض على الباحث التقرب من عينة الدراسة ومعايشتها والتصورات الأساسية بعد نزوله إلى حقل الدراسة. من المعوقات التي يواجهها الأنثروبولوجي هو تعايشه مع واقع يعكس ميولاته البحثية، أو يقع في تناقضات التي لا تخدم الدراسة."¹

6-1 أهداف المنهج الأنثروبولوجي:

المنهج الأنثروبولوجي له مجموعة من الأهداف وأهم أهداف الدراسة الأنثروبولوجية ما يلي:

1. العمل على وصف الحياة البشرية بطريقة دقيقة.
2. تصنيف الحياة البشرية بشكل دقيق وواقعي².

¹ مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية رقم 2، يوم 31، 12، 2021، ص 376.

² المرجع السابق، ص3.

3. كشف كافة الأصول التي يشهدها الإنسان وأسبابها.

4. وضع مجموعة من الاستنتاجات والتنبؤات الخاصة بالمجتمع.

6-2 خصائص المنهج الأنثروبولوجي:

يوجد لهذا النوع من المناهج مجموعة أساسية من الخصائص أهمها:

1. "يعتبر المنهج الأنثروبولوجي منهج له مجموعة من المناهج الفرعية مثل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

2. هذا النوع من المناهج يتميز بمجموعة من الخصائص وأهمها الترابط والتكامل.

3. يعتبر المنهج الأنثروبولوجي من المناهج التي شهدت الكثير من التطور وذلك من خلال البحوث المونوغرافية وبحوث المقارنة وغيرها "

6-3 أدوات المنهج الأنثروبولوجي:

المنهج الأنثروبولوجي له مجموعة من الأدوات الأساسية أهمها:

1. **الملاحظة المباشرة:** تلعب الملاحظة المباشرة أهم الأدوات التي يقوم الباحث العلمي من خلالها بجمع مجموعة من المعلومات التي يستخدمها من إجراء البحث العلمي الخاص به ويتم ذلك من خلال تحديد عين الدراسة واختيارها من مجتمع المقابلة.

2. **المقابلة:** تعتبر المقابلة كذلك أحد الطرق أو الأدوات الخاصة بالمنهج الأنثروبولوجي والتي تستخدم لجمع المعلومات الخاصة بالبحث أو الدراسة، من خلال هذه الطريقة يقوم الباحث بمعرفة وجهة النظر الخاصة بأفراد مجتمع الدراسة.¹

6-4 علاقة المنهج الأنثروبولوجي بالأجناس الأدبية:

باعتبار النص الأدبي خطابا يملك آلية داخلية لكنه يرتبط بالسياق الذي أنتجه مما دعا الأنثروبولوجي لوضع النصوص الأدبية في مجموع الإنتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم والآخرين، وبالتالي معرفة ذاته أيضا فالعلاقة بين النصوص الثقافية والأدبية

¹ خوالي خالد المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيقي، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، يوم 31 12 2021، ص 376.

بخاصة وبين السياقات الاجتماعية التي أنتجتها واضحة جدا "فالأدب مجالا أساسيا لمعرفة الجانب الاجتماعي".¹

5-6 علاقة المنهج الأنثروبولوجي بأدب الرحلة:

تشير كتب التاريخ والأنثروبولوجيا إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل حتى أن تعلم الزراعة وعرف ما معناها وصنف ما استطاع تصنيفه راح بصيغه تحت عنوان أدب الرحلة.

يهتم الأدب الرحلة بالرحلات تلك المنحدرات المكانية والزمانية سواء جرت في الأرض أو في السماء أعماق البحر والقران الكريم معجزة الإسلام الكبرى، والضرب في الأرض لأغراض شتى بعضها ديني وبعضها اجتماعي فيقول على لسان الملائكة: "قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا"² يحمل أدب الرحلة "عناصر أدبية جنبا إلى جنب مع المعلومات والمعطيات الاثنوجرافية"³ بأساليب "ترتفع بها إلى علم الأدب وترتقي بها إلى مستوى الخيال الفني إذ يتنوع الأسلوب فيها بين السرد القصصي والحوار والوصف ويشكل رافد من روافد والرحلات تجارب ومغامرات ورؤى أخرى.

هي وصف توثيقي أنثروبولوجي، لذلك نجد علاقة الأنثروبولوجيا بأدب الرحلة علاقة متميزة لأن أدب الرحلة أدب يدرس الإنسان وما هو مرتبط به.

6-6 علاقة المنهج الأنثروبولوجي بالمسرح:

بعد التمثيل ظاهرة أنثروبولوجية يمارسها الإنسان البدائي والمتحضر وهو عنصر فني من عناصر المسرح والذي يعتبر من أقدم حديث الفنون جميعا وعندما التحمت المسرحيات بالجمهور ظل التمثيل حينها ظاهرة أنثروبولوجيا.

¹ بول أرون والان فيلا، سوسيولوجيا الأدب تر محمد علي الكتاب جديد دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 2013، ص 16.

² سورة النساء، الآية 97.

³ المرجع السابق، ص 43.

لقد عد بعض الأنثروبولوجيين الطقوس مسرحاً " لاقتربها من صيغ الأداء المسرحي فالتواصل بعالم اجداد غير المرئي أو الآلهة يمر عبر إحياءات تقرب الطقوس من الفن من ناحية أخرى فتقطعه التقارب بين الطقوس وحالة المسرحية"¹.

لذلك يعتبر الأنثروبولوجيون الطقوس تقوم بها جماعة من البشر ممثلين الأمر المنشود وبما أن هذه الطقوس لها ما يجمعها بالأنثروبولوجيا ذات العلاقة بالمسرح مثلاً " الطقوس الدينية في إفريقيا التي يستخدم فيها الكاهن قناعاً رافعا فكفيه المخفيين باتجاه السماء من أجل أن يمارس على المردن أثرا شعوريا"².

لذلك سارعت الأنثروبولوجيا إلى اهتمام بهذه الطقوس كونها حيزه من المسرح وغيرها مثل الموسيقى والرقص والصلوات والأصاحي والتقاليد الشفوية والكرنفالات... إلخ التي يضمنها المسرح وما تهتم به الأنثروبولوجيا وتدرسه.

6-7 علاقة المنهج الأنثروبولوجي بالسيرة الذاتية:

إن الأنثروبولوجي حينما يكتب سيرة الأشخاص وتتخذ هذه الكتابات في العادة نمطاً قصصياً فكتابة الباحث الأنثروبولوجي سيرة أدبية لأحد رجالات المجتمع الذي تعرف عليه خلال إحيائه في ذلك المجتمع لوجي قدم من خلال حياته نظرة حول التاريخ الاجتماعي لمجتمع تظهر كأنها قصة لكنها من جلس السيرة مثل مقالة الأنثروبولوجي كين براون الموسومة بـ صور المثقف المغربي عن الكاتب المغربي أحمد بن خالد الناصر في نص النص كان ذا طبيعة استشرافية وأنثروبولوجية وهناك سيرة ذاتية مهمة لتاريخيين ومثقفين ربما كانت سيرهم الحياتية تلقى الضوء على جوانب عديدة في حياة مجتمعاتنا.

وفي هذا السياق تذكر دراسة نيللي حنان في كتابها "تجار" "القاهرة" وكيف تمكنت من خلال عرض سيرة ناجم أو طافيه وأن ترسم لنا صورة غلية عن جوانب من الحياة مجتمع في القرن 17 دراستها تجعلنا نتساءل خاصة في غياب الدراسات الأنثروبولوجية تقدم سرد هذه

¹ سندس محمد عباس أنثروبولوجيا الأدب، ص 57.

² مارك أوجيه الأنثروبولوجيا، ت جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص 58.

السيرة الذاتية مادة للدراسة المتخصصة في الدراسة الأنثروبولوجيا التاريخية الحديثة ما يمكن عن تقديم صور اجتماعية لدور الفاعل التاريخي أو نتاجا أو سياسيا في حياة مجتمعنا سواء كان مثقفاً هو أمر وجد اهتماما عند بعض الأنثروبولوجيين الغربيين وانصب اهتمامهم في دراسات متميزة.

6-7 علاقة المنهج الأنثروبولوجي بالرواية:

تهتم كل من الدراسة الأنثروبولوجية والإبداع الأدبي وبخاصة العمل الروائي باعتبار العالم الذي يدور كل من هذين النشاطين على الرغم من اختلافهما في أساليب فهم ذلك العالم وطرائق حوله التعبير عن ذلك الفهم هذا مع العلم بأن كل من العمل الأنثروبولوجي وإبداع الروائي يستمد عناصره أو مادته الخام الأساسية من المجتمع ومن يستمد الواقع المعيش إلا في أحيان قليلة وفي نوع معين بالذات.

فمعظم الأعمال الروائية ظهرت في القرن التاسع عشر والذي يعتبر في الوقت ذات العصر ازدهار الأعمال الروائية الكبرى فالكتابات عالم مثل جيمس جورج فريزر وبخاصة كتابة الساس "الفص الذهبي" عمل علمي يتبع أساليب ومناهج البحث الأنثروبولوجي السائد في ذلك الحين يتناول هذا الكتاب ما يرى المؤلف انه "تطور مسيرة الفكر البشري منذ أقدم العصور حتى الآن فيصفه في مراحل ثلاثة هي: مرحلة السحر، مرحلة الدين، ومرحلة العلم، فيسلط الضوء على كل واحد منها ويدسها، بالتفصيل مدعما آراءه بأمثلة وحكايات آتية من مختلف القبائل والشعوب البدائية"¹.

كما نجده في الوقت ذاته كتب "بأسلوب أدبي رفيع يضاهي أرقى أساليب التعبير في العالم الروائية الكلاسيكية وأما بالنسبة للواقع والأحداث والظواهر الاجتماعية والثقافية والحقائق التاريخية التي يضمنها الكاتب صبغت في شكل روائي وتدور حول مشكلة محورية أشبه شيء بالحكمة في الأعمال الروائية وإذا كانت كل العناصر مستمدة من الواقع المحسوس والملموس ولكن بعد أن خضعت لخيال العالم الأنثروبولوجي فتولى انتقاد غيره من الباحثين والعلماء ثم

¹ جيمس جورج فريزر الغصن الذهبي، تر: محمد زيادكية: 2011، ط1، ص6.

صاح ذلك كله في تلك الصياغة التي تجمع بين السرد والوصف والتحليل العلمي والقص أو الحكى الأدبي الروائي بحيث تمتزج في ذلك العمل الأنثروبولوجي العلمي الضخم موضوعيه العالم وذاته الأديب المبدع"¹.

لهذا ما يقال عند جورج فريزر أو غيره من الروائيين الأنثروبولوجيين أما في العقود الثلاثة الأخيرة نجد انتشار مجموعة واسعة الدراسات الاثنوجرافية والأنثروبولوجية جوانب من حياة مجتمعنا وثقافتنا مثال عن ذلك الروايات التي جعلت موضوعها عالم البدو والصحراء وما تستهدف من تحولات وتغيرات في أعمال وأمثال عبد الرحمان منيف ودابراهيم الكوني وغيرهما وفي كل الأحوال فإن العمل الأنثروبولوجي والعمل الروائي الخيالي الذي يستمد شخوصه وأحداثه وعناصر خياله من واقع معين ومحدد مكانياً وزمانياً يتجاوزان في أخذ الأمر. تلك الحدود كلها حاول أن يفسر التجربة الإنسانية. لذلك نجد أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والرواية علاقة متميزة.

نستنتج في الأخير أن الأنثروبولوجيا احتفظت بالتعريف عن نفسها إلا أن موضوعاتها اختلفت وتميزت بحسب العصور للموضوعات المدروسة والمعالجة وأن الأنثروبولوجيا ليست مجالاً بحثياً بقدر ماهية ارتباط بين عدد المجالات. وإنها تاريخ من جهة وأدب من جهة أخرى فهي تهدف وتهتم بدراسة الإنسان من الداخل والخارج وبالأخرى له عدة فروع ممتدة وعلاقة بجميع العلوم الأخرى.

¹ مجموعة من الأساتذة، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، ص 47.

الفصل الثاني

الرواية تصور اقع الإنسان

تمهيد:

الرواية جنس أدبي نثري يعتمد على سرد الأحداث، مكونة من ثلاثة أقسام: وضعية انطلاقية، عنصر محول، ووضعية ختامية. وهي أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات، حيث تمتاز بتنوع الأحداث. وأول ظهور لها كان في أوروبا على أنها جنس أدبي مؤثر في القرن الثامن عشر، فهي حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار والصراع الذي يكون بين الشخصيات وما ينجم عليه.

1- مصطلح الرواية:

يشمل مصطلح القص في اللغة العربية على معاني التوصيل والسرد والحكي، وتتبع الأثر. أما نظيره الإنجليزي (fictions) فيشمل على معاني السرد والتخييل وما يناقض الحقيقة بمعناها المنطقي والرياضي. من ناقل القول للأدب حقيقته لكنها ليست كحقائق المنطق والعلوم الطبيعية ويرتبط مصطلح الرواية في اللغة العربية بنقل الخبر والتوصل والحكي والاستظهار والري أي الأمداد بالماء، ولعله بهذا يعلي من قدر الإنسان إلى المعرفة وفضوله الذي لا ينقطع أما مصطلح الإنجليزي فيشمل على معنى الجدة والحداثة ونظيره الفرنسي (Roman) يشير إلى "إبداع خيالي نثري طويل نسبياً يقوم على رسم شخصيات، ثم تحليل نفسياتها وأهوائها، وتقضي مصيرها ووصف مغامراتها"¹، والقص أشمل وأعم.

من المعروف أن الرواية كنوع أدبي لم يمتد على ظهوره أكثر من ثلاثة قرون في الغرب ولا أكثر من قرن ونصف في العالم. ويرجع الكثير أن الولادة الأولى للرواية كانت في فرنسا في القرن الثاني عشر فيقول أحدهم "أن الرواية من حيث هي جنس حديث قد نشأت في الغرب وفي فرنسا على وجه الخصوص"².

عناصر بناء الرواية:

1-2 الشخصيات:

الشخصية في الرواية هي التي تجذب القارئ أو المستمع، فتحقق الاختيار الصحيح لها، مهم للغاية، وللوصول إلى الاختيار الصحيح لا بد أن تكون لشخصيات ذات أبعاد ثلاثية مثل باقي شخصيات الحياة. أشخاص لهم مخاوف وآمال، أشخاص لهم نقاط ضعف ونقاط قوة، أشخاص لهم هدف أو أكثر في الحياة.

¹ فيصل دراج الرواية وتأويل التاريخ النظرية الروائية والرواية العربية المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 2004، ص 5.

² ينظر موقع مبعث للدراسات الانترنت. 5 ماي 2024 س 22:45.

2-2 البطل:

- وهي الشخصية المحورية في العمل الأدبي وشخصيته دائماً ما تكون قادرة على التعبير وتغلب عليه السمات العشر التالية: والتي تبني عليها الرواية حتى نهايتها:
- 1- تعثره في الأحداث لوجود تحدي أمامه يعترضه.
 - 2- رفضه لهذا التحدي.
 - 3- إجبار نفسه على قبول هذا التحدي.
 - 4- السفر في طريق المحاولات.
 - 5- جمع القوى والحلفاء له.¹
 - 6- "مواجهة الشرور التي تحاول هزيمته.
 - 7- فترات من ظلمه النفس واليأس، يأتي بعدها فرج.
 - 8- قوة إيمانه تمكنه من مواجهة المواقف الصعبة.
 - 9- مواجهة الشر مرة أخرى. ثم فجأة ينتصر الحق.
 - 10- ينتقل البطل من مرحلة تعلمه إلى مدارس يدرس غيره الدروس.

2-3 الخصم:

وهو القوى التي يناضل معها البطل والذي يقدم عنصر الشر في الوقت ذاته وقد يكون الشر مقدماً في صورة بسيطة أو صورة معقدة بأحداث وشخصيات متعددة ولا يتمثل الخصم في شخص فقط يحاول هزيمة البطل والانتصار عليه، فمن الممكن أن يكون صراع البطل نفسياً مع سلوك وقرارات خاطئة تراوده ويحال التغلب عليها.

وقد تخضع كل من الشخصيات الخير والشر لتغيير أفضل في السلوك. وهذا النوع آخر من أجل الصراع، وليس فقط انتصار البطل والخصم.

¹ ينظر المرجع السابق.

2-3 الشخصيات المساعدة:

الثانوية: إذا كانت الرواية تركز على بطل أو بطلين، قوى الخير والشر. فهناك شخصيات أخرى متعددة تكمل في بناء الرواية وتسمى بالشخصيات المساعدة أو الثانوية، فقد يكون ليس دور رئيسي أساسي وبدونه لن تكتمل الأحداث

2-4-الحبكة: العقدة هي المشكلة الكبرى التي تواجه بطل الرواية ويسعى لحلها وتعد الحبكة جزء أساسي في جسد الرواية، حيث من خلالها يبدأ البطل باكتشاف حل العقدة¹.

2-5-الموضوع: وهو الفكرة التي اعتمد الكاتب في كتابة روايته، حيث قام بإحاطة هذه الفكرة بأحداث الرواية، ومهمة القارئ اكتشاف الموضوع الرئيسي للرواية بعد أن يقوم بقراءتها.

2-6-الزمان والمكان: عنصران أساسيان من عناصر الرواية، ومن خلالها يستطيع القارئ تصور العصر الذي وقعت فيه الرواية وبالتالي إمكانية تعايشه معها.

2-7-الحوار: وهو الحديث الذي يدرس بين شخصيات الرواية، ومن خلاله يبني الكاتب أحداث روايته.

أنواع الرواية:

تتنوع الرواية حسب موضوعها ومنها:

الرواية العاطفية:

وتتناول هذه الرواية قصص الحب والغرام وتصور المشكلات التي تصادف العشاق من رفض المجتمع لحبهما الأسباب دينية، أو بسبب - الفروقات الطبقية بعد أن يخوض معارك شرسة في سبيل حبهما.

الرواية البوليسية:

أو رواية الجريمة وهي رواية مشوقة ومثيرة، وتكون الحبكة على شكل لغز وتعد « أجكا كريستي» رائدة في هذا المجال من الروايات.

¹ ينظر موقع منبعث للدراسات الأنترنت 5 ماي 2024 على 11.11.

الرواية الواقعية: وتقدم هذه الرواية خدمة للمجتمع، فيقوم الكاتب بوضع الصفات الحميدة في شخصية البطل، الأمر الذي يجعل القارئ بالقيام بهذه الصفات بعد أن يتأثر بشخصية بطل الرواية. وبالتالي يغرس الكاتب الأخلاق الحميدة في القارئ¹.

الرواية النفسية: وهي الرواية التي يركز فيها الكاتب على الانفعالات الشخصية وتحليل مشاعره الوجدانية، حيث يعتني بسبب حدوث الفعل ونتائجه. إذ يطغى هذا الجانب على الاهتمام بمجريات الأحداث. كما يولي الكاتب اهتماما بليغا بوصف الشخصيات من الداخل أو أكثر من الخارج، ويكثر من الحوار الداخلي، للتعبير عن الذات الإنسانية مثل رواية «عودة الروح لتوفيق الحكيم»، ورواية «ابراهيم للمازني».

الرواية الهزلية: هي رواية تهدف الى إمتاع القارئ وتسليته. حيث يقوم الراوي فيها بتجسيم الشخصيات والمبالغة بالأحداث، لإبراز التناقض. كما أن هذا النوع دخل إلى السينما ولاقى نجاحا كبيرا ومن الأمثلة على الروايات الهزلية: روايات «ولينير».

الرواية المثيرة: هي الرواية التي تعتمد على وقوع البطل في أزمة، يستحيل الخروج منها، إلا أن القدر يلعب دوره فيخرج البطل من مشكلته التي لا حل لها فمهمة البطل هذا، السعي وراء الحقيقة أو انقراض إنسان ما.

الرواية الريفية: هي الرواية التي تصور حياة الفلاحين والأرض، حيث تعبر عن النضال في سبيل إحياء الأرض والصراع الطبقي، وقد تطور هذا النوع من الأدب في مطلع القرن العشرين، خاصة في مصر التي شهدت انداك اعتمادا على الزراعة ونهر النيل ومن الروايات الريفية رواية «زينب لحسين هيكل» ورواية «دعاء الكروان لطفه حسين»².

الرواية التاريخية: هي أحد أنواع الروايات التي تهتم في الحضارات القديمة، حيث تتحدث عن الشخصيات التاريخية وتوظفها، وتسمى بالروايات الأمزجية، حيث تعمل على توظيف الماضي لأجل الملاحظة المباشرة للشخصيات أو الزمان أو المكان، ومن الروايات التاريخية المشهورة:

¹ ينظر المرجع السابق

² ينظر المرجع السابق.

فتاة القيروان الجرجي زيدان وهناك روايات أخرى تهتم بمواضيع أخرى، فالرواية من الفنون الأدبية الحديثة والتي قدمت للعالم خدمات جليلة، وأحدثت ثورة في العالم حيث أضافت عنصر الإثارة والتشويق والذي كان غائبا عن باقي الأجناس الأدبية¹.

2-5 نشأة الرواية

الرواية سرد قصصي نثري، يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى نشأ مع البواكر الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من التبعيات الشخصية². طرحت قضية أصول الرواية العربية ومصادرها ونشأتها وريادتها باعتبارها لب السردية العربية الحديثة، أراء كثيرة ومنها ما ينكر على الموروث السردى القديم إمكانية أن يكون أصلا من أصولها، وآخر يراها حضنا ترعرعت بدورها في أوساطه، وغيره يؤكد أن الأب الشرعي لها، ومن ثمة أراء تراها مزيجا من مناهل غربية وعربية، وهناك رأي آخر وهو الشائع الذي يرى أن الرواية مستحلبة من الأدب الغربي.

"الرواية العربية، طبقا لهذا الرأي، في أرقى نماذجها وأشكالها إنما تتحو منحى غربيا في نوع المحاكاة المكشوفة لما استخدمت الرواية الغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"³ كما يرى الناقد مصطفى عبد الغني "أن ظهور الرواية في الوطن العربي ارتبط بعاملين أحدهما أثر في كل من مصر ولبنان في نشأة هذا الجنس الأدبي سواء في درجة التأثير بالعرب وفي الأقطار العربية. أما العامل الآخر فهو أن تطور هذا الفن الروائي ارتبط في ظهوره يتطور الاتجاه القومي العربي ونضجه أكثر من أي عامل آخر"⁴.

¹ ينظر المرجع السابق.

² إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للتأمين المملكة العربية السعودية، ص 16.

³ عبد الله إبراهيم السردية الحديثة ط 1، دار النشر، دس.

⁴ مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت. 1.1. 1999، العدد

فالروايات التي انتجت بدءاً من سنة 1867 وفي بداية القرن العشرين وكانت موزعة بين أسلوب المقامات ولغتها الزخرفية واحتوائها على كم هائل من المعلومات غير المتجانسة، وبين الوقوع تحت تأثير الروايات الغربية الرديئة والتي كانت حسب اختيار صغار المترجمين مليئة بالغرائب والأوهام وغارقة في العاطفة في فترة لا حقة بدأت الروايات تستعيد من التاريخ بعض أسمائه ورموزه.

2- دور الرواية في تصوير الواقع

لعبت الرواية في المجتمع العربي دوراً كبيراً في نقل واقعه بعدما كان الشعر هو السبيل الوحيد لذلك ولأن الرواية صورت الواقع على المباشر دون إيهاء، فكانت ثورة على الشعر، فحملت الرواية مسؤولية كبيرة على عاتقها بما أن المجتمع العربي عاش الكثير من التغيرات والصراعات. وتحاول أن تتخذها سبباً أو إشارات لاستنهاض الهمم وإبراز البطولة والتذكير بالماضي من أجل استعادة المواجهة القوى الظالمة الاستعمارية.

جاءت والتداعيات الأولى لظهور الرواية العربية مع بدايات القرن العشرين دون أن يزمانها الصعود في علم التاريخ أو في غيره من العلوم. يقول الدكتور فيصل دراج "أن انطوت بداية الرواية العربية على مفارقة ظاهرة ذلك أنها ولدت في شرط غير روائي. ولم تنجز فيه البرجوازية ثورتها ولم يعرف الواقع العربي فيه ثورات جذرية، دون أن يزمانها الصعود في علم التاريخ أو غيره من العلوم"¹. ويضيف "كان هذه الرواية ولدت معوقة وافدة شديدة التلثم لحظة ومليئة بالوهم ترهن المقامة لحظة أخرى، وهي سوى روايته، وأرسل بها ثقافات مغايرة تحاكيها باضطراب وتملي عليها أن تخلق رواية مختلفة وكتب الرواية العربية التاريخ المعاصر الذي لم يكتبه المؤرخون متطلعة إلى تاريخ سوى محتمل. وحالة بمدى تعطي الرواية قراءة مجتمعية"² ولذا نقول ان الرواية لها ارتباط بالمجتمع والواقع المعيش إذا نجدها تسعى للفهم الصحيح للمجتمعات.

¹ فيصل دراج، الرواية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 1، 2004، من 6.

² المصدر السابق، ص 7.

ومن يتابع تطور الرواية العربية منذ القرن الماضي يرى أنها المتأثرة بالتراث العربي وهذا ما يظهر في إطارها وزمانها وهوما تجلى واضحا في مصر، والشام بوجه خاص كذلك كانت في بلاد المغرب تتمسك بالتراث الإسلامي واللغة العربية وعلى هذا النحو فإن ذلك الوعي بالتراث دلاليا وفنيا تطور إلى أقصى درجات التطور في الخمسينيات والستينيات¹.

يرى «جيمس ماتر» أن الرواية إحدى المنتجات الأكثر تميزا اذ يقول: «ينظر إلى الرواية على أنها إحدى المنتجات الأكثر تميزا التي جاء بها عصر الحداثة مع أبجديات القرن العشرين القرن الذي شهد ثورات عظيمة ساهمت في إعادة رسم المشهد الروائي بالكامل»².

ظلت الرواية تمشي وفق خطى التطور والبحث عن كل ما هو جديد ومعاصر فقد كان الشغل الشاغل للرواية دوما وعلى نحو رئيسي هو الحياة المعاصرة والأشياء الجديدة المستحدثة في هذه الحياة³.

كما يرى محمد أمين العالم "أن الرواية العربية قد ارتبطت أساسا منذ بداية نشأتها بمحاولة إبراز وبلورة الهوية القومية في مواجهة الآخر الغربي المستعمر، ولهذا كانت البدايات الأولى لبنيتها التعبيرية امتداد بنيويا لمختلف التعبيرات الأدبية التراثية السابقة وخاصة السير الشعبية والأحداث التاريخية البطولية والمقامات دون أن يعني هذا أنها كانت تخلو من التأثير في شكل البنيوي بالبيئة الاجتماعية، والاقتصادية الوطنية والثقافية السائدة التي نشأت فيها وعنها"⁴.

إذن الرواية العربية كانت تتخلص من ارتباطها الأول ببعض الأبنية التعبيرية القديمة، من مقامات وسير، فإنها عادت عند بعض الروائيين المعاصرين إلى استلهاام الأشكال التراثية القديمة، والتاريخ القديم والحديث ونجد تداخل بعض الأجناس من شعر، ومسرح وفكر. إضافة إلى فن السينما وهذا ما أتاح لها مزيد الانتماء والتنوع.

¹ مصطفى عبد الغني، المرجع السابق، ص 23.

² جيمس ماتر، تطور الرواية الحديثة قسم الروايات ت لطيفة الديلمي 2016، ص 24

³ فاروق خورشيد، الرواية العربية، عصر التجمع، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ط2، 1970، ص 75.

⁴ محمد أمين العالم، أربعون عاما في النقد التطبيقي، البنية الدلالية في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل، مصر 1994، ص 18.

3- الرواية المغربية وخصوصيتها:

للرواية المغربية خصوصيتها مثلما أن لرواية بلد الشام أو مصر أو الخليج خصوصيتها، منفردة وهذا أمر يبدو غريبا لأنها تنقل الواقع وهي أكثر اهتماما بالتحويلات الدائمة كما لها تأثير عميق على الإنسان والمحيط الذي يعيشه حيث تعطي الإحساس لوجود الألام والأمال داخل الإنسان، وتعتبر الرواية المغربية وسيلة مهمة لإنشاء أجيال جديدة صالحة تفيد الأمة وللدفاع عن الإنسان ولتربية المجتمع البشري لذا للرواية أهمية عظيمة في التاريخ الأدبي العربي غربا وشرقا.

«قد نشأت الرواية المغربية متأخرة في أقطار المغرب العربي ولكن كان تطورها سريعا. إن فترة السبعينيات من القرن العشرين كانت فترة تشكل التجربة الروائية المغربية التي تحطمت معها مقولة المشرق: (بضاعتنا ردت إلينا)، بل صرنا أمام تطور فعلي في مجال السرديات إبداعا ونقدا من جهة وتلقيا من جهة أخرى»¹.

فعندما نلاحظ نجد أن الرواية المغربية تأثرت كثيرا بالرواية المشرقية بصورة، لا نجد روايات فنية في المغرب إلا في الستينيات فظهر منهم العديد من الروائيين الذين كتبوا الروايات منهم «عبد المجيد بن جلون» و«محمد بن التوهمي» و«عبد الكريم غلاب» «بينما في تونس نجد بعض الروايات القليلة «لمحمود المسعدي» التي تحدد البدايات الحقيقية لنشأة الرواية العربية هناك كما مرت الرواية المغربية بكثير من المشاق لأنها ترتبط بجغرافية أكثر من دولة. وبالتالي أكثر من خصوصية فكرية وثقافية وأدبية. ولأنها كانت باللغتين العربية والفرنسية

—
وظهر أول عمل روائي في تونس على يد «علي الدوعاجي» في «جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط» عام 1935 وإن كانت البداية عام 1906 برواية «الهيفاء وسراج الليل» «لصالح السنوسي» وبعدها رواية «الساحرة التونسية» عام 1910 «الصادق الرزوقي».

¹ صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر للأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ص 14.

ثم حدث أبو هريرة قال المحمود المسعدي > في عام 1940 و"موك النسيان" > في عام 1940، وبعد ذلك نشر « عبد الكريم غلاب » روايته الشهيرة « حدفنا الماضي » ثم « محمد زخرف » برواية « المرأة الوردية » سنة 1972.

أما الجزائر فتعتبر آخر قطر مغربي في مسار الرواية وفي عام 1971 بدأت الرواية تنتشر باللغة العربية بعدما كانت باللغة الفرنسية "لذا أطلق واسيني الأعرج على أن السبعينيات عقد الرواية الجزائرية باللغة العربية"¹

وقد عالجت الرواية المغربية عدة موضوعات فكانت في بدايتها اتخذت الطابع الإرشادي الوعظي كمرحلة أولى فكانت مرحلة التأسيس ثم اتخذت الموضوع القومي بعد ما تطور الفكر المغربي فكان موضوع الاحتلال والاستعمار المرأة والأرض والرجل وكل القضايا التي تخص الإنسان في المجتمع ثم في مرحلة أخرى أصبحت تعبر عن موضوع الذات والآخر من خلال فتح المجالات الحوار والإقرار بالاختلاف والرغبة في التعايش وفي مرحلة أخرى أصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة وتعددت الأبعاد الاجتماعية الواقعية فبدأت الرواية تعبر عن السياسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فأصبحت موضوعات الرواية المغربية تعالج مواضيع إنسانية سياسية اجتماعية وطنية صراع الأجيال انهيار السلطة والفقر الجهل المخدرات. ولكن تبقى الرواية المغربية لا تخرج من جلباب الرواية العربية.

4- الرواية الجزائرية وخصوصيتها:

تأثر الأدب الجزائري بتطور الحركة الأدبية وازدهاره الكبير وقد أدى إلى ظهور أجناس أدبية جديدة ومن بينها الرواية التي لقيت اهتماما وإقبالا خاصة من طرف الأدباء والقراء على حد سواء، فعمل النقاد على ترقيتها وتطورها وتحديد عناصرها الفنية، وتختلف الرواية عن سائر الأنواع الكلامية الأخرى كالقصة القصيرة والمقال القصصي والصورة في المادة، ومن ثم في المعالجة الفنية فكل نوع من هذه الأنواع السابقة يستخدم مادة أولية بكرة ويشكلها تشكيلا خاصة ليعبر عنها عن فكر الكاتب أو الشاعر أو مشاعره وأحاسيسه، وبرز من خلالها صوته

¹ ينظر حمدي عابدين، متى ظهرت الرواية في المغرب العربي، جريدة الشرق الأوسط القاهرة 2003، ص13.

الخاص. أما الرواية فمادتها ثانوية فأنها ليست أحادية الصوت، كما يقول حيختين > متعددة الأصوات وخطابها عبارة عن مزج من الخطابات الشعرية والقصصية والتصويرية وغيرها¹. لقد تأخرت الرواية الجزائرية في الظهور عن الرواية العربية وبخاصة في المغرب العربي، فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر وشعبه يعيش في ظروف غير طبيعية حاولت فيها فرنسا تهديم الهوية الجزائرية من دين ولغة وعادات وتقليد وكل ما يهم الإنسان الجزائري. وهذا أدى إلى ظهور كتاب لم يستعطوا التحكم في ملكتهم وإلهامهم من أجل التعبير عن واقع أسود، فكل القيود كانت شديدة على هؤلاء الفنانين فلم يجدوا السبيل إلا استعمال أداة العدو لضربه بها ألا وهي لغته.

هذا ما سمح للعديد من الكتاب للظهور على الساحة ومن بين هؤلاء، «مولود فرعون» «مولود معمري» و«حنبل فارس» و«جان حمروش» وهم جميعهم يتحدثون اللغة الأمازيغية كان سهلا عليهم استعمال لغة العدو، أما من كانت لغتهم الأصلية العربية من بينهم «محمد ديب» و«مالك حداد» و«كاتب ياسين».

5- الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية:

لقد أثر المستعمر الفرنسي في المجتمع الجزائري كثيرا حيث أصبح الجزائري يلبس لباس المستعمر، ويأكل أكله ويتحدث لغته، وهذا راجع للمدة الطويلة التي مكث فيها المستعمر في الجزائر ما جعل الشعب الجزائري يحتك به كثير، فالشعب الجزائري لم يكن لديه عقدة الحديث باللغة الفرنسية أو حتى المزج بين لغة الأم ولغة الأجنبي المشكلة التي طرحت نفسها هوية هذا الأدب فهو أدب يعبر عن واقع يعيشه الإنسان الجزائري بأقلام جزائرية لكن بحروف مرسومة غير حروف عربية بل وأكثر بلغة فرنسية هي لغة العدو. هنا اختلف النقاد العرب وكذلك الفرنسيين في ترسيم هذا الأدب أهو أدب جزائري يندرج تحت الأدب العربي أم أدب فرنسي يندرج تحت الأدب الأوروبي ومن بين هؤلاء «محمد الطمار» الذي يقول أن الأدب

¹ عبد الرحمان الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 2005، ص 105.

"الجزائري لا يفكر تفكيراً يتصل بالمشكلات الواقعية والاجتماعية إلا إذا كانت في إطار قومي، ولا يؤدي أفكاره وأحاسيسه تأدية خالصة صادقة، كل الصدق إلا باللغة القومية"¹.

لكن هناك رأي نقيض < لمراد بربيون > يقول "اللغة الفرنسية ليست ملكاً خاصاً بالفرنسيين، وليس سبيلها سبيل الملكية، بل أية لغة ملكاً يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي ويعبر عن حقيقة ذاته القومية"².

لكن كل ما كان يشغل الأدب الجزائري هو التعبير عن أحاسيسه ومشاعره وأهم من ذلك هو تصوير واقع معيش تحت ظلم الاستعمار الذي استوطن في هذه الأرض الطاهرة، فاللغة الفرنسية أداة للتعبير فقط من أجل إيصال فكرة سدت الأبواب كلها لإيصالها باللغة الأم فاللغة الفرنسية لم تؤثر على وطيئتهم ولا الأول على قوميتهم لذا يقول محمد ديب "ولأسباب عديدة فأنا ككاتب كان همي هو أن أضم صوتي إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبتها"³.

الأديب الجزائري لم يكن له خياراً آخر إلا استعمال لغة عدوه لأنها كانت اللجوء الأول والأخير ليخرج صمته المكبوح وإيصاله للعالمية وهي في هدفها رسالة بلغة العدو "حيث ظهر كتاب وطنيون يؤمنون بحق الشعب ويعيشون واقعه ويحسون بالمشاكل التي يعانيها من جراء الاستعمار لم يجدوا وسيلة للتعبير عن هذا الواقع الاجتماعي سوى اللغة الفرنسية التي تعلموها"⁴.

الكتابة باللغة الأجنبية لم تؤثر على الرواية الجزائرية مادام الأديب صادقاً مع نفسه ينقل ما تعيشه بلاده من وضع اجتماعي وسياسي في فترة معينة، فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي لم تكن قبل دخول المستعمر الجزائري، ولكن كانت وليدة ظروف خاصة كان لا بد لها أن تلد أو تموت الحقيقة، فالرواية باللغة الفرنسية كان لها الفضل الكبير في بروز العديد من المبدعين الذين يصنفون في مصاف المقتدرين المتمكنين بل حتى المتفوقين في إيصال

¹ محمد الطمار، الروابط بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983، ص 282.

² سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 85.

³ إسعاد محمد حضرة؟، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 85.

⁴ عبد الله الركبيبي، لقصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3 1977 من 17

كلمة الحق بلغة أتقنها. وعبر بكل صدق بمشاعر عاشها وهذا ما أعطى لتلك اللغة أجمل الصور وهذا ما يتجلى في ثلاثية « محمد ديب » و « الدروب الوعة » لـ « مولود فرعون » و « الأفيون والعصي » و « الهضبة المنسية » لـ « مولود معمري » و « نجمة » لـ « كاتب ياسين » ، فكل هذه الروايات وغيرها كانت صورة دقيقة بكل الجزئيات لشعب سلبت منه حريته عنوة. فقد حمل الأديب الجزائري مسؤولية كبيرة مثله مثل السياسي، الذي يدافع عن قضية شعبه فوق الطاولات ومثله مثل المجاهد الذي يدافع على شعبه بحمله السلاح في ساحة المعركة، فكلهم ثاروا ضد فكرة الحرية لهذا الشعب الأبي. هؤلاء كتبوا قبل الثورة وارهصوا لها ولكن بعد اندلاع الثورة أخرجوا ثورتم الحرفية فتحرر الوعي الوطني فظهر ما يسمى بالأدب الثوري فكان طريقا معبدا ليحملوا عبء الثورة الجزائرية

6- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

تشير بعض الدراسات إلى أن أول رواية كانت باللغة العربية وهي محاولة قصصية مطولة عرفها الأدب الجزائري كانت سنة 1849 وهي « حكاية العشاق في الحب والاشتياق » « للسيد محمد بن ابراهيم » المدعو « الأمير مصطفى » ، وهي رواية أقرب للسرد الملفوظ وأكثر التصاقا بالشرعية.

ثم لحقتها أعمال تحمل معالم الفن الروائي بكل عناصره كانت « غادة أم القرى » سنة 1947 لـ « أحمد رضا حوحو ». فهي التي عالجت موضوع المرأة، وهذا ما تجده في الإهداء حيث أهدى الكتاب للمرأة الجزائرية قائلاً "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية، إلى تلك اليائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى"¹.

فهذه الرواية كتبت على الطريقة الكلاسيكية الأرسطية، التي ترى أن العمل الدرامي تحكمه عدة مقومات: بداية عرض، نقطة وسط، عرض، ونهاية، وحل.

¹ أحمد رضا حوحو، غدة أم القرى دار النشر الجزء الطبعة الأولى من الإهداء.

ويبقى هذا العمل برغم من هفواته عملا فنيا رائدا في بنائه ولغته وفي مغامراته الإبداعية خاصة ويكفي « حوحو » فخرا أنه أول أديب يكتب بالعربية ويدخل عوالم الفن الروائي سنة 1947 ثم بعد « حوحو » يظهر « الشافعي » براويته « الطالب المنكوب » سنة 1951 وهي تحكي عن قضية شاب جزائري طموح الذي يفارق وطنه ليلقى صعوبات ثم تليها رواية « الحريق » « لنور الدين بوجدر » سنة 1957 بطلها شاب شجاع اسمه علاوة يتحدر من ولاية سكيكدة، قرر علاوة الالتحاق بصفوف جيش التحرير لينتقم لوالده، مضحيا بحبه تاركا ابنة عمه زهور التي تلتحق هي الأخرى بالثورة وتستشهد.

أما فترة الستينات لا نكاد نلمح إلا عملا روائيا بالعربية وهو « صمت الغرام » لـ « محمد منيع » سنة 1966 ، وذلك نظرا للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

"لكن كل هذا كان مجرد محاولات فقط، لم ترق للمستوى المطلوب وهذا الموقف يتناسب والظرف التاريخي السائد"¹

الانطلاقة الحقيقية للرواية الجزائرية باللغة العربية

تأثرت الرواية الجزائرية العربية باندلاع الثورة وذلك عند بزوغ أول شعاع من أشعة شمس الحرية من ثورة عظيمة على الجميع، فكان لا بد من الرجوع إلى الأصل وهو التعبير بلغتهم الأم، فكانت هناك محاولات قبل الاستقلال، ولكن لم تكن ترقى إلى ما تصبو إليه في الحقيقة. "ومع هذا لا ننكر بذور نشأة هذا الفن في محاولات جادة قبل الاستقلال من قبل كل من « رضا حوحو » في « غادة أم القرى » والتي عالجت قضية المرأة الحجازية وكذلك « عبد المجيد الشافعي » في « الطالب المنكوب » لكن هاتين الروائيتين لم تحضيا بلقب الرواية وذلك من الناحية الفنية الأسلوبية، ومع بداية التسعينات وبالضبط في سنة 1970 تعتبر النشأة الأولى الحقيقية للرواية وهي رواية « ربح الجنوب » للأديب « عبد الحميد بن هدوقة » في

¹ أحلام معمري، نشأة الرواية المكتوبة باللغة العربية مجلة الأثر تصدر فصليا جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد 20، 2014، ص 60.

فترة سياسية مهمة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال وهي قانون الثورة الزراعية الذي كان يحمل الكثير من التطلعات للريف الجزائري على جميع الأصعدة.

هكذا نشأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية نشأة حقيقية واضحة المعالم فقد خلدت لنا شخصيات متنوعة ومختلفة الأهواء والاتجاهات تماما، كما حدث مع الإنسان وموقفه من التيارات الفكرية والحضارية المختلفة التي بدأت تجتاح كتاباته، بعد الاستقلال، بالذات بعد أن كانت الساحة الوطنية تشهد تغيرات جذرية على كل المجالات. وبعد أن بدأ المجتمع الجزائري يتشكل من فئات مختلفة ومتنوعة بعد أن كان الاستعمار والإقطاعيون يستعملونها¹.

فما يمكن أن نستنتجه أن تفوق الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على رواية المكتوبة باللغة العربية يعود إلى الخلفية الثقافية للكاتب، فبينما وجد الكاتب بالفرنسية مجالا رحبا للاحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمة افتقر الكاتب بالعربية إلى مثل هذه التجربة، لأن الروائيين أنفسهم اتجهوا بدورهم نحو الرواية العربية لينهلوا منها².

فالجيل المخضرم من الروائيين الذين "عاشوا الخمسينيات وسنوات الثورة الجزائرية أبدا لاننكر في توجيه نثرنا الحديث إلى الوجهة التي يتجهها اليوم غير أن هناك الأمور يمتاز بها أديباؤنا لفترة ما بعد الاستقلال على أدباء ما قبل الاستقلال وأهم هذه الأمور هو اشتداد القاص والروائي المعاصر بدوره في المسيرة الاجتماعية التي تسيرها بلادنا منذ الاستقلال، فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى³.

إن سنوات السبعينيات نطق فيها الحرف العربي نطقا سليما صريحا لا نشوز فيه قويا لا خوف يحيط به، فانتشر على جميع الأجناس الأدبية فظهر الشعر والقصة والخاطرة والمقال والمسرح فهو ظهورا معلنا عن وضع القدم الأولى في الإبداع لتلتحق أقدام أخرى لذا نقول أن

¹ محمد البشير، المرجع السابق ص 199.

² عائدة أيب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925/1972، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، من 62.

³ محمد مصاريق النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، م3، 1983، ص 159.

« ريح الجنوب » كانت فآل خير على الأعلام الجزائرية العربية فهذه الرواية التي تعالج قضايا المرأة والثورة والأرض، وإزاحة غبار طال وجوده "تتصل بالأرض وبالمراة وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره تلك هي الخطوط العامة التي رسمها المؤلف من خلال الحدث والشخصيات في هذه الرواية"¹ - غير أن الشيء الجديد الذي جاءت به هذه الرواية هو الاهتمام بالأرض وارتباط الإنسان الجزائري بها. هذا الإنسان الذي كافح من أجلها، كما كافح الاستعمار وتعد رواية "ريح الجنوب" علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية في هذا البلد فهي تتميز ببناء لافت ومستوى سردي محكم ومقارنة عميقة لنماذج الشخصيات ومعالجة فنية خاصة.

وعلى صعيد الرواية العربية يمكن وصف هذه الرواية بأنها أصبحت بعد مرور أكثر من خمس عقود على صدورها بطبعتها الأولى واحدة من كلاسيكات الرواية العربية ومن بين أبرزها خلال القرن العشرين وعلى الصعيد العالمي نالت هذه الرواية اهتماما واسعا، فترجمت إلى عشر لغات عالمية منها الفرنسية الألمانية. والإسبانية. فيما حظيت باهتمام مضاعف بعد أن تحولت إلى فيلم سينمائي. "إنها رواية المراة بمختلف نماذجها المقهورة والمذعورة والمحتجة وهي رواية مكتوبة بعربية فخمة و متمسكة ببلاغة تراثية، وعبارات فصيحة تجد الصرامة حتى الصرامة تعبيراتها وجزالة ألفاظها وفصاحة عباراتها تتسحب بالقدر نفسه على الراعي والمثقف لتضعها في مستوى واحد"².

رغم استشفاء الجزائري من جرح الاستعمار إلا أن الندوب التي تركها الجرح أصبحت بمثابة ذاكرة تحكي أحداث جرت وقصص دارت على أرض سقيت بدم طاهر انبتت إنسان واع متشبع بالقيم والروح الوطنية، فالثورة ظلت صوة تلاحق الأديب الجزائري فيذكرها بين أسطره وكأنها بنية من الأبنية، فأبدع كل من «محمد مصايف» في «المؤامرة» و«مزاك بوقطاش»

¹ عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة، ط3، 2009، ص 39.

² المصدر نفسه، ص 40

«بالبزة» و«محمد مفلح» في «هموم الزمن الفلاقي» و«الطاهر وطار» في «اللاز» و«واسيني الأعرج» في «نور اللوز» و«حبيب السائح» في «زمن النمرود».

فصورة الثورة في أعمال هؤلاء الأدباء اتسمت بتداخل العوامل السياسية الاجتماعية والنفسية والتاريخية أما مرحلة الثمانينات فقد شكلت في مناخها الروائي استمرارية لفترة السبعينيات فلم نلاحظ أعمال قوية إلا القليل في بعض المحاولات التي راحت تبحث عن ذاتها وكسر قدسية الثورة التي طبعت جل الأعمال الروائية ومن هذه الأعمال اذكر « الحوات » والقصر « لـ » الطاهر وطار « سنة 1980 ، رواية « الجازية والدرأيش » لـ « عبد الحميد بن هدوقة » سنة 1989، « تجربة في العشق » لـ « الطاهر وطار » سنة 1988، وبعدها تأتي فترة حاسمة عاشها الشعب الجزائري وهي فترة التسعينيات وما شهدته البلاد من صراع إيديولوجي أدى إلى إزهاق الدماء ما سميت بالعرشية السوداء، ولا بد أن الأديب الجزائري كذلك تأثر أيما تأثر بهذه الأوضاع فهناك من قتل كأمثال « الجيلالي خلاص » ومنهم من هدد بالقتل غير أن هناك من الأدباء من كانت هذه الأوضاع مادة دسمة أمثال « أحلام المستغانمي » حيث جعلت منهم نجوم « ذاكرة الجسد » لـ « أحلام المستغانمي » سنة 1993، ورواية « الشمعة » لـ « الطاهر طار » و« الدهاليز » كذلك سنة 1996، ورواية « المراسيم والجنائز » لـ « بشير مقني » التي كتبها سنة 1997 لكن سرعان ما تخلصت الرواية الجزائرية من قيود محتمة وهي الحديث عن الماضي إلى انطلاقة جديدة وتجربة تجديدية أمثال « واسيني لعرج » و« إبراهيم سعدي » و« الحبيب السايح » و« أمين الزاوي » و« عز الدين جلاوي » . «

أما الرواية الجزائرية المعاصرة قد اتسمت بعنصر الحداثة وذلك نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربط بين جنس الرواية بالثقافة الغربية أساسا، فلقد استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة أن تصنع لنفسها موقعا في عالم الإبداع الفني الروائي العربي. من خلال تبنيها لا استراتيجية التجريب التي مكنتها من ولوج عوالم التشكيل السردي بأبعاده الحداثية المنفتحة على ما توفره الرواية من امكانيات، تمنح المبدع الحرية في معالجة المواضيع التي تشغل اهتمامه دون قيد

أو شرط وهذا ما نجده عند الكاتب والروائي عز الدين جلاوجي، الذي اعتمد استراتيجيات التجريب إيماناً منه أنه يمارس الحرية التامة وهذا ما يتجلى في روايته سراديق الحلم والفجيرة، فأراد أن يأخذ الرواية الجزائرية عبر بساط الأسطورة والخيال إلى عالم العجائبية بأسلوب فيه الشغف والمتعة.

الفصل الثالث:

ابن هدوقة يصور واقع الإنسان الجزائري

تجليات الأنثروبولوجيا في روايات ابن هدوقة الخمس ثلاثية

المرأة والأرض الثورة

تمهيد:

ترى فما كان يفكر وهو يكتب « ريح الجنوب »، هل كانت هناك ريح تهب على أرياف ذاكرته؟. أم كانت الريح توقفت كما أَرادها في أولى رواياته على طبيعة هادئة وباسمة مثل طباعه؟. هل كانت «الجازية» معه؟. أم كان يتوسط الدراويش حيث كان عالمه الجديد عارما، وقد يكون شبيها بذلك الذي قال عنه غدا يوم جديد "أو كان ينتمي إلى عالم كان يقول عنه" نهاية الأمس" أو كما تمناه كان قال عنه "بان الصبح" هو ابن الريف، وكتب للريف ومن كتب للريف أكثر من ابن هدوقة في الجزائر؟. من كتب أحلام الريف وثورة الريف، وتمرد الريف أكثر من ابن هدوقة؟. ومن كتب أدب الريف لا شك أنه ابن الريف.

« ريح الجنوب » ألفها سنة 1970 تزكية للخطاب السياسي الذي يلوح بأمال واسعة للخروج بالريف من عزلته ورفع الضغط عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، وسرعان ما ندرس ذلك الخطاب الذي هلّل له الإعلام كثيرا في قانون الثورة الزراعية الصادر سنة 71 هذه هي الظروف التي عاشها الكاتب والوطن ولأن "ريح الجنوب" حولت إلى فيلم سينمائي فقد لجأ المخرج إلى تغيير النهاية هذا ما جعل "ابن هدوقة" يؤلف نهاية الأمس وبان الصبح ليتدارك بعض الثغرات، وليضيف إضافة الثورة وبالتالي تصبح رواياته الثلاث ريح الجنوب ونهاية الأمس وبان الصبح ثلاثية الواقع الجزائري منذ أيام الثورة كما كان يرى أن قضية الثورة واجب لا بد من ذكره، كما عمق الصراع بين الثورة من جهة وبين الإقطاع من جهة أخرى، ثم جعل لثورة تنتصر على الإقطاع وهذا يعني انتصار الجماهير الكادحة. أعطى للريف مساحة جعلت حيزه المكاني ضيقا إلى درجة لم يشمل فيها مزيدا من الشخصيات التي تمثل عيوب المجتمع وميزات الثورة. لهذا اتخذ من العاصمة مركزا محوريا للحدث في رواية بان الصبح والصبح كشف حقيقي لما عانتها الثورة الاشتراكية من مستغلين وانتهازيين وبرجوازيين إلا أنه صور الريف بكثير من الصدق في مشاكله ومعاناته وواقعه المأساوي بشكل عام ولأن الريف كان المحور العام فإن «الجازية والدراويش» طرحت أفكارا جديدة، وأنبتت على صراعات جديدة. فالأحمر تيار إيديولوجي والطيب تيار آخر. والجازية رمز والأخضر

فكرة ضاربة بجذورها في أعماق الريف غير أن «الجازية والدراويش» تمثل قفزة نوعية في عمل «ابن هدوقة» من حيث الشكل والمضمون.

لكن غدا يوم جديد تريد التعبير عن مرحلة جديدة بكل جوانبها وأشكالها المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وما إلى ذلك، ولأن الجزائر الوطن هي الأرض تتشكل فيها ملامح عدة البيانات.

فاختار الكاتب المرأة الطرف المسحوق من مجتمعنا والذي تقع على كاهله عيوبه وأخطاؤه لتكون رمزا ولسانا للجزائر.

ما يلاحظ في كتابات " «ابن هدوقة» هو الحضور المكثف للمرأة. حيث أراد الكاتب من خلال هذا الحضور أن يرمي إلى أبعاد مختلفة في مضامينها الاجتماعية والفكرية الحضارية، كما اتخذ الاتجاه الواقعي الذي يحاول صياغته في الحياة الجديدة مع التوغل في أعماق المجتمع وسبر أغواره، كما نراه في رواية «رياح الجنوب» و«بان الصبح» هذا قبل أن يسير نحو الاتجاه الفني للأسلوب الذي يوظف الموروث الفني توظيفا واعيا إيجابيا، لأن الكلمة المستمدة من الموروث الشعبي تعطي للنص بعد فكريا وجماليا، وحضاريا متنوع الأبعاد ولذلك ترتفع الأعمال الإبداعية التي تتناول المرأة إلى مستوى الفني الرفيع والأصيل، وفي هذا النوع نجد فيه الحوار الداخلي، الذي يستنطق الذاكرة، ويفجر الأسئلة في الأعماق.

1- المرأة في روايات ابن هدوقة

المرأة ذلك الكائن الحي الذي خلق من ضلع، ذلك العنصر البشري الذي يبحث عن الحياة المليئة بالحب الحنان الاحتواء فالمرأة تستقوى بالعنصر الذكري فهي أمه وأخته وزوجته وابنته، فالمرأة هي المجتمع لأنها أساسه وعموده فبصالحها يصلح المجتمع. وكلما سقينا المرأة حبا وأمنا واحتواء كان ثمار ذلك على المجتمع.

ولطالما كانت المرأة محور المواضيع في الأعمال الأدبية لكثير من الشعراء تغنوا بالمرأة وأقرنوها بالقمر والغزال وكتبوا فيها قصائد وحتى معلقات، وكذلك كانت البطل الرئيسي في غالب الروايات. ويعد «عبد الحميد بن هدوقة» واحد من هؤلاء الذين رسموا صورة فنية للمرأة الجزائرية في عالمه الروائي في محيط اجتماعي ونفسي، من خلال تفاعلها الخارجي وتفاعلها الداخلي رغبة منه في تغيير وضع المرأة وتحسينه موظفاً لذلك قدراته الإبداعية، وقد رصد صورة هذه المرأة من خلال رصده حركة المجتمع الجزائري، فوقف عندها أيام الثورة الكبرى وإبان الاستقلال ووقف عندها في الريف والمدينة، ثم انتقل بها إلى المدينة رغبة منه في اكتمال هذه الصورة بشكل طبيعي، وفي إطار منظم ومنطقي فلقد وظفها في بنية إجتماعية متوافقة ومتناقضة.

والواقع أن ابن هدوقة" قد جعل المرأة نصاً مفتوحاً على عدة قراءات يحتمل تأويلاً بحسب مستوى القراءة التي تتطلق منه، وتمارس بواسطته فعل القراءة والذي يعتمد على مرجعية نصوص هذا الأدب وسياقتها المتنوعة إذ كان حريصاً على تسجيل موقف مما يحدث في الجزائر في مسيرتها التنموية، فالنص بنية دلالية نتجها ذات فردية أو اجتماعية ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة. قد يستعصي على الباحث الحديث إنتاج مسيرة إبداعية طويلة وخصبة كتجربة القاص والروائي «عبد الحميد بن هدوقة» حتى وإن اقتصر هذا الأخير على جانب واحد من خلال زاوية محددة كصورة المرأة مثلاً في إبداعاته وهذا يعود بالطبع على ما يتضمنه الأثر الإبداعي من قيمة جمالية ودلالية مما يثير في نفس الكثير من الخوف والإحساس بعد القدرة على سبر أغوار هذه التجربة.

هكذا استطاع «ابن هدوقة» بحاسته القديمة المبدعة أن يرسم مختلف الشخصيات النسوية ببراعة ودقة ضمن تكامل بين البناء الخارجي والبناء الداخلي للشخصية، وتبقى قضية المرأة زاوية متعددة الأبعاد يطل من خلالها الروائي على الواقع المعيش، فجاءت المواضع الخاصة بالمرأة تجمع بين عضوية البادية وصفاء الريف وعنفوانه وبين تفتح المدينة وزحمها الثقافي المكلف وتركيباتها المختلفة وفنائها المتعددة.

إن أول ما نلاحظه في كتابات هذا الروائي هو سيطرة وكثافة حضور المرأة، حيث أراد الكاتب من خلال هذا الحضور أن يرمي إلى أبعاد مختلفة في مضامينها الاجتماعية والفكرية والحضارية، كما اتخذ الاتجاه الواقعي الذي يحاول صياغة الحياة الجديدة مع توغل في أعماق المجتمع وسبر أغواره، كما نرى في رواية «رياح الجنوب» و«بان الصباح» هذا قبل أن يسير نحو الاتجاه الفني للأسلوب الذي يوظف الموروث الفني توظيفاً واعياً إيجابياً، لأن الكلمة المستمدة من الموروث الشعبي تعطي للنص بعداً فكرياً وجمالياً وحضارياً متنوع الأبعاد، لذلك ترتفع الأعمال الإبداعية التي تتناول المرأة إلى المستوى الفني الرفيع والأصول، وفي هذا النوع نجد فيه الحوار الداخلي الذي يستنطق الذاكرة وينجد الأسئلة في الأعماق.

المتابع الروايات "عبد الحميد بن هدوقة الخمس «رياح الجنوب»، «نهاية الأمس»، «الجازية وال دراويش»، «بان الصباح» و«غدا يوم جديد»، تبقى عالقة في ذهنه صورة لنفسية و«رحمة» و«رقية» و«جازية» و«دليلة» و«مسعودة» وغيرهن من النساء.

"غير أن منذ البداية يعتقد أن موضوع المرأة يبقى موضوعاً شائكاً في المجتمع العربي الإسلامي"¹، فالمشاكل التي تطرحها قضية إدماج المرأة في حركة التاريخ وصيرورة المجتمع ليست بالهيمنة، علماً بأننا لا ننتظر من الأديب أن يقدم لنا جميع الحلول بقدر هذا العالم الخصب فهما صحيح هكذا استطاع بن هدوقة أن يضعنا أمام وضعية متردية ووقائع مؤلمة تعيشها المرأة بكل مرارة، وهذا الواقع ترفضه المرأة وتزيد تجاوزه وتغييره. والنماذج التي قدمها ابن هدوقة تنحو نحو رؤية تصاعدية، فمن النموذج النمطي الساذج «نفسية» في «رياح

¹ روزلين ليلي قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، المطبوعات الجامعية، 1980 ص 30.

الجنوب» و«دليلة» " في «بان الصباح» إلى النموذج الفني الأسطوري المختلف الأبعاد في «رحمة» «ريح الجنوب» في «الجازية» و«الدرويش» حضور المرأة عند «ابن هدوقة» كان برؤية حضارية متعددة الجوانب والأهداف، لأن تناولها يقوم على دعائم اجتماعية وأخلاقية، وفكرية وغيرها".¹

1-1 المرأة في ريح الجنوب

"لقد صور «ابن هدوقة» «نفسية» ضمن رؤى مختلفة، وجاءت الموسوعات الفكرية والجمالية التي رسمت هذه الشخصية ومحاولة تكريس الفكر الثوري التحريري لهذه المرأة الحبيسة في أغلال التقاليد والأعراف"¹، ولقد أراد الكاتب من خلال هذه المرأة «نفسية» أن يتناول قضايا جد خطيرة، لكن نفسية لم تستطع أن تغير هذا الواقع وكانت توحى بنوع من الخضوع والاستسلام للواقع المفروض من طرف السلطة الأبوية الجامدة حيث كانت نفسية في نظر «ابن هدوقة» صورة للمرأة السلبية التي تنهار مع كل مواجهة على الرغم من الخضوع التفاضي أمام الراعي رابح" أو التفاضل والهروب من البيت، فقد صورها رهينة في وضع اجتماعي مختلف، لأنها لم تدرك تلك العلاقات الاجتماعية، إدراكا تاما وجيدا، يعتمد على تفكير الواعي لأسس هذه العلاقات، بل إنها كانت تبحث عن الحل المرضي لمشكلتها الشخصية والهروب ليس هو الحل.

ولأن «نفسية» الفتاة التي رفضت واقع أمها وواقع من هم في سنها أين يطبق عليها القانون المتعارف عليه في مجتمعها الذي لا تنتمي إليه إلا بالنسب فلم ترضخ لذلك فنفسية ترى نفسها لا يمكن أن تنتمي إلى مجتمع تحكمه قيم خاصة، حتى أنها رفضت أن تشبه أحد حتى أختها الشهيدة زليخة "تضايق الجو عند نفسية وهي تسمع الحديث عنها بحضورها ولم يعجبها أن ترى نفسها لا أصل آخر"¹ نفسية ترى أن حياتها تحطمت منذ رجوعها وإلى القرية

¹ مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص، 416.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، دار القصية للنشر، الجزائر، ص 75.

حين رآها والدها هي الحل فتاة "تجاوزت سن البلوغ بسنوات فكانت هي الحل"¹ نفيسة لم تعد تثق في أهلها منذ أن سمعت قرار عدم رجوعها للجزائر وأن التعليم أمر ثانوي "التعليم أمر ثانوي؟ ترى ما هو الشيء الأساسي الذي تريدينه لي" لا تريد أن تكون امرأة حرة لها قرار غير الذي يحتم عليها "قولي له لن أتزوج، ولن أنقطع عن دراستي ساعود الى الجزائر مهما كان الحال" رافضة كل الرفض أن تعيش حياة أمها "الذل الذي عشت فيه أنت، لن أعيشه" المجتمع الذي يرى المرأة جسدا لا يمكنه أن يتطور ولا يتغير حتى ولو تعاقبت عليه ثورات ولأن عفوية نفيسة التي جاءت بها من العاصمة جعلتها تبتسم في وجه رابح الراعي لكن تأثر بهذه الابتسامة ما جعله يهجم عليها ويقول : "المرأة هي المرأة سواء عاشت بالجزائر أم البادية"² فما كان على نفيسة إلا أن تدفعه وكلها غضب قائلة "اخرج من هنا أيها المجرم أيها القذر أيها الراعي القذر".

خيرة الأم والزوجة الريفية التي أخذت الخجل الذي تحول إلى خوف من وسطها تجد نفسها محتارة بين قرار زوجها الجشع ورفض ابنتها القاطع مضطرة لاطلاعها على الأمر فزوجها لن يقبل أي عذر وأي تأخير للمسألة إلى موعد آخر لا يليق "تعيش الثورة قهرا وظلما ولكن كانت ترى الثورة وراء الظلام. ولكن اليوم تدخل ثورة أخرى هي ثورة زوجها ونفيسة. العجوز رحمة طبيبة وحكيمة القرية أم الجميع تعرف تاريخ الجميع أخذت صناعة الفخار كموروث شعبي من القرية كانت ترسم ذلك التاريخ على الآنيات الفخارية فكل رسمة تعني رمزا هي طبيبة كذلك فتزيل الحمى بالثلج وتشفى من الالتهاب ب بعشبة الخيزر.

تقول³ رحمة " إن الغد الذي أنتظره هو الذي يحرك رجلي اليوم عندما أحفر الطين لا أفكر في الغد القريب ولكن في الغد البعيد، البعيد"⁴. أم رابح البكماء التي اختارها زوجها من بين ثرائر القرية فزوجها كان يرى جمالها في هدوئها وكان يرى فيها المرأة الصالحة المخلصة

¹ عبد الحميد رواية ريح الجلوب، ص 55.

² عبد الحميد بن هدوقة ريح الجنوب ص 81

³ عبد الحميد ريح الجنوب ص 96.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمس، الشرق الوطنية للنشر والإشهار والتوزيع، ط2 1978، ص35.

"إنها مخلصه لأبيك أرأيتها لم تضحك أبدا منذ وفاته"¹ المرأة في رواية ريح الجنوب صورها المجتمع المرأة الجسد الذي يجب أن يرضخ له.

1-2 المرأة في نهاية الأمس:

إن المرأة في رواية "نهاية الأمس" هي امرأة الثورة التحريرية، وقد قدمها الروائي في صورة تجمع بين السلبية والإيجابية، فقد كانت "رقية" زوجًا للبشير الذي أصبح مجاهدًا في صفوف الجيش. "قالت له: متى ستأتي، تطلع إليها على ضوء المصباح الغازي، ووجهها الداكن، لا تخافي سأغتنم كل الفرصة" فتركها لقدرها المحتوم، بين الصمود والمقاومة بين الأزمة والمعاناة، وتتوالى الأحداث إلى أن يقتحم جنود المستعمر دارها ويعتدوا بعضهم على عرضها، وتركها مشردة في العراء، ولم تكن رقية نموذجًا للمرأة الأمس بطبيعتها، بل إحدى ضحايا الفعل الاستعماري الذي حاول أن يسلب إنسانية الإنسان الجزائري، ويرمز هذا الحدث إلى بشاعة المستعمر وهمجيته، وهو إدانة للوجود الاستعماري. تم تلقي "رقية" بالحركي في الجبل فيقدم لها العون فيتزوجها ويتبنى ابنتها "فريدة" ويرزق منها بولد آخر، هي تعتقد باستشهاد زوجها كما كان هذا الأخير يعتقد أنها هي كذلك ميتة، وقد استطاعت هذه المرأة أن تكون محور الأحداث فامتزجت بالجزائر، وهذه الثقافة ذكية من المؤلف حيث ينتصر للحقيقة حين يكشف عن الموقف العدائي لأبناء القرية من الحركي وأسرتهم فلم يرحموا الزوج وفرضوا حصارًا وعزلة على أسرته. وتعود رقية للظهور لما أراد بشير الاستعانة بعجوز لطهي الطعام وتنظيف المدرسة، ولا يتم اللقاء بين الزوجين إلا بعد موت ابنتهما "فريدة" ويتكفل هو بدفنها فتراها حينها رقية يغمى عليها، ذلك أن "فريدة" هي رابط بينهما، وهي الرابط بين الماضي والحاضر وبموتها يموت الماضي المجيد والمرغوب فيه ليسيطر على الحاضر الأليم. لقد زواج ابن هدوقة بين رقية والجزائر فكلاهما عانتا من الصعاب نفسها وهنا الكاتب اختار نهايتين لمصير رقية بين الرجوع للقرية ولبشير وتعويضهما ما فات أو الهرب نهائيًا دون الالتفات إلى الوراء.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمس، الشركة الوطنية للنشر والإشهار والتوزيع، ط2 1978، ص35.

وقد وقف ابن هدوقة لإثارة العطف والحنان على القارئ اتجاه رقية التي تمثل محور الحدث الروائي، فهي صورة للمرأة الجزائرية، أثناء الاحتلال الفرنسي، عاشت عيشة كلها معاناة وحرمان وقسوة المستعمر وبطشه وعبثه ولغياي الأمان والحماية والزوج، فقد صور لنا ابن هدوقة مشهد مخز "فتدفعه بكل قوتها عنها، وتحس في تلك اللحظة نحوه بكل ما تسمعه نفسها من حقد ... ولكنه يضغط عليها العسكري ويطرحها أرضا بالقوة، ... وتعضه فيصفعها ... فتصرخ من شدة الألم ... أحست شرفها يداس في لحظة".¹ فدائما يبقى جسد المرأة المشكلة التي تؤرقها في المجتمع.

حتى بعد الاستقلال وخروج المستعمر كانت رقية الضحية الأولى بعد استشهاد زوجها في اعتقال كل من له قرابة بها، فما وجدت من الحماية إلا حماية الحركي فأصبحت تراه قدرها المحتوم لا مهرّب منه رغم المفارقة التي كانت تعيشها في زواجها الأول من مجاهد شهم وزواجها الثاني من حركي لعين يلعنه كل من عرفه فمعاناتها الثانية بزواج يجلب العار لها ولابنتها ولابنها، صراع نفسي تشهده كل صباح مشرق فكل حركة كانت محسوبة على رقية زوجة الحركي.

أم الحركي المسكينة التي لا ذنب لها فيما قام به ابنها غير أنها حملته تسعة أشهر. وقامت بإرضاعه حليبا صافيا عله يكون بطلاً من أبطال الثورة "إنها امرأة أشقاها ضناها. ما ذنبها هي أن يكون ابنها حركيا أو سارقا"² لم تكن في يوم من الأيام تتصور أن يكون ابنها يلبسها اسم يكون نذير شؤم عليها وهذا الاسم الذي عيشها مع أفراد أسرتها الفقر والحاجة لأن كل الأبواب كانت مغلقة بوجهها لأنها أم الحركي، والمجتمع الرجعي والمستدمر اللعين هما من جعلها منها أم سيئة لا يمكن التعامل معها. بمجيئ البشير إلى القرية أراد أن يساعد هذه العجوز وعائلتها التي حالتهم تثير الشفقة غير أن الصعوبات التي واجهته كانت كثيرة برفض أهل القرية دخول هذه العجوز أم الحركي إلى العمل في المدرسة ورغم ذلك تحدى الصعوبات

¹ عبد الحميد بن هدوقة، رواية نهاية الأمس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 91.

وساعدها فالبشير بالنسبة لرقية والعجوز كان بلسم الجراح التي عاشاتها أثناء الاحتلال أو بعده.

أم البطل البشير لم تخف المستدمر الذي منع أخذ جثة الشهيد زوجها فهو انتقم لعرض ابنه فالإخلاص والحب جعلها ترقد أمامه. "لم يكن يبدو على العجوز خوف ولا حيرة، بل كانت تبدو نشيطة الحركة، مطمئنة النفس كأنها اكتشفت في لحظة. وإن مسؤوليتها كزوجة وفيه هي دفن زوجها الشيخ الشهيد والموت إلى جانبه"¹¹

المرأة في رواية نهاية الأمس هي المرأة ضحية المستدمر اللعين لعب دوره كما يجب معها.

1-3 المرأة في رواية بان الصبح:

ثم تأتي رواية "بان الصبح" لترسم صورة المرأة في المدينة تكون معادلة موضوعيًا لـ "نهاية الأمس" و"ريح الجنوب" وفي الوقت نفسه امتداد لها، فدليلة في "بان الصبح" طالبة جامعية بمعهد الحقوق، شابة مندفعة متحررة إلى درجة اللامبالاة والعدمية متيقظة، ثائرة، متباعدة، متناحرة عاكسة لواقع جزائري متنوع وجاءت شخصية نموذجية تحمل مواصفات المرأة التي تتعامل بدلها مجموعة من المتناقضات التي تكسبها جمالية خاصة تحكم على الموقف الواحد حكمين مختلفين فلم تر عيبا في الزواج من "البرجوازي" على إثر ممارسة غير شرعية في حين تتكر هذا التصرف إذا صدر عن غيرها "لماذا أخي المحترم، أحب هذه المرأة الرخيصة التي قبلت أن تأتي معه إلى هذا المكان القذر؟ لماذا تزوج إذا؟ لماذا جاء بها إلى هنا؟ حيث الأنظار؟"²

إن دليلة "بان الصبح" هي امرأة أكثر نضجًا وتطورًا ووعيًا من نفيسة المنشغلة في إطار علاقات ريفية تنتظر إلى المرأة نظرة خاصة، وترى وجودها في العاصمة ضمناً للحياة السعيدة،

¹ عبد الحميد بن هدوقة رواية نهاية الأمس، ص 111.

² عبد الحميد بن هدوقة، رواية بان الصبح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 3 شارع زيروت يوسف، الجزائر 1980،

فهل استطاعت هذه المدينة أن تقدم الحلول المناسبة والمرضية للمشاكل التي تعاني منها. المجتمع العربي والجزائري دائماً يرى المرأة بنظرة الجنسية وجسدها لا يمثل إلا إثارة للشهوة وهذا ما قدمه ابن هدوقة روايته واختلاط الركاب في الحافلة " الشاب اغتتم فرصة الاحتكاك الذي أحدثته الفرملة فالتصق بظهر الفتاة التصاقاً"¹ ويبقى جسد المرأة مشكلاً في حد ذاته، المجتمع الرجعي لا ينظر لعقل المرأة المدبر ولا لقلبها الواسع ولكن ينظر لأعضائها فقط فذلك الجسد يبقى ملاذ لأي كائن حتى في الحمام وهذا ما حدث لنعيمة عندما انفجرت "ادلكي ما يدلك وكفى. فردت عليها الكياسة ما دمت بين يدي فجسمك كله لي"² لقد جعل ابن هدوقة "دليلة" صورة عن "نفيسة" إذ وضعنها في علاقات هجينة لم تسمح لها بالانقلاب والتحرر، فإذا المدينة هي منفذ "نفيسة" فهي واقعياً مكان آخر كالريف تمارس فيه أشكالاً من الاستغلال بطرق مختلفة شكلاً ومختلفة مضموناً، ليصل الروائي إلى أن المرأة لا تحل إلا في إطار مجتمع عادي، ولهذا كانت "دليلة" امرأة هامشية لم تستطع الوصول إلا أن مشاكلها مقرونة بمشاكل أخريات أكثر حزمًا وتعقيداً، لأن التطلع الفردي تطلع نهايته الفشل لأنه يهمل كل مجهود جماعي، وهو ما يؤكد على هذه النظرة القاصرة. ف"دليلة" ترى في الرجل منبع كل المشاكل وسبب كل معاناة وهنا تعترف بأنها ضعيفة أمام الرجل وأمام شهواتها وأهوائها فمهما ادعت اللامبالاة يبقى حملها الغير شرعي هاجس يخيفها " خرجت دليلة وهي لا تعرف إلى أين تذهب"³، ومصدر كل إزعاج، فهي لا تفرق بين كونه مستغلاً ومستغلاً، إنها تستطيع التخلص من تفكيرها المتناقض والقاصر فهي تحب "كريمو" حباً من طرف واحد، ابن الطبقة "البرجوازية" بعد أن أغراها بادعاءات التحرر والزواج، ولما تقع في شباكه وتحمل منه، يتخلى عنها وينكرها، ويقترح عليها الإجهاض، مما يقوى لديها النزوع الذاتي والمنفعة الشخصية. وبذكر «دليلة» في "بان الصبح" يأتي ذكر بنت عمها "نعيمة" تلك الفتاة التي قدمت من الريف لتحقيق شخصيتها وذاتها، تلك الأحلام التي جعلت منها فتاة مؤدبة شريفة عكس بنت عمها "دليلة" فهي تعيش في بيت عمها وهي تعي أن أي خطأ تقوم به في هذا البيت المنفتح على

¹ عبد الحميد بن هدوقة رواية بان الصبح، ص 364.

مصراعيه يعني تحطيماً لأحلامها وشخصيتها ورجوعها إلى الريف فتعيش حياة البؤس والشقاء لذلك لا بد لـ "نعيمة" أن تحسب لكل حركة تقوم بها في المدينة لأنها أرادت أن تكون شخصية تعبر عن أفكار تؤمن بها فمشاركتها في مؤتمر الميثاق الوطني واهتمامها بالموضوع أكبر دليل على ذلك أنها تدافع على اللغة العربية " هناك فعلا فئة تتصور العربية على أنها لغة الجهل والرمال"¹ لكن "نعيمة" تعيش مأساة لم تتوقع أن تعيشها ربما الحظ كان ضدها حين استغلت "دليلة" اسمها في كتابة الرسائل بينها وبين "كريمو" وتشاء الصدف وتقع الرسالة في يد عمها فانصدم لما يحدث لبنت أخيه التي اعتبرها أمانة في بيته لم يتوقف في مكانه بل هاتف أخاه ليحضره ويبلغه بالمصيبة لكن والدها كان يؤمن بأن ابنته لم تقوم بذلك وكم كانت فرحته لما أبلغه الطيب أنها شريفة كذلك نعيمة التي كانت تدفع ثمن أحلامها في المدينة مطاردة ابن عمها المتزوج لها ولما انفضح أمام زوجته اتهمها بالتملق عليه. " انه لا ينفك يعترض طريقي بشتى الوسائل "²فصور لنا ابن هذوقة في "بان الصبح صورة متناقضة للمرأة بعد الاستقلال جراء ما خلفته الثورة وتأثير الفكر المستعمر على المجتمع الجزائري من انحلال خلقي وهذا يظهر في شخصية "دليلة" وما تمسك به المجتمع من بقايا عادات وتقاليد وهذا ما نجده في شخصية "نعيمة". نصيرة سوناكم هي بقايا مخلفات المستعمر من تفتح ليس لها للحرية حدود. تجمع النسوة في الحمام من كل الطبقات هناك يكون الحديث، فالحمام مكان مهم للمرأة، وخاصة الجزائرية. يتبادلن النسوة الحديث ويسمعن الأخبار، والحمام مكان تبدي فيه المرأة زينتها وصيغته¹

"زبيدة " الأخت الكبرى لدليلة قد فاتها قطار الزواج، والمجتمع يعيب المرأة التي لم تتزوج فهي فتاة تتمنى أن تلبس لباس العروس وتبني أسرة لكن أنى لها ذلك في مجتمع رجعي؟ يستحقر المرأة التي وصلت لسن الثلاثين ولم تتزوج، في المجتمع الرجعي يرى أن عمر المرأة

¹ عبد الحميد بن هذوقة رواية بان الصبح ص 178

² عبد الحميد بن هذوقة، رواية بان الصبح ص 168

عدوها اللدود. المرأة في رواية بان الصبح امرأة محتارة مختارة بين المحافظة والانفتاح، ويبقى الجسد مشكلتها.

1-4 المرأة في رواية الجازية وال دراويش:

وتتضح صورة المرأة أكثر عند "بن هدوقة" في الرواية الموسومة (الجازية وال دراويش) وقد استعمل لذلك الرموز بدرجة كبيرة وإذا كان ابن هدوقة قد نجح في ترميزه الجازية بالجزائر والجزائر بالجازية، إن امتزاج الجازية بالجزائر (الوطن) جعلها مطمعا لكل الدراويش الطامحين في الظفر بها كل بحسب توجهه الفكري ونظرته إلى الحياة إلا أنها حافظت على استقلالها وبناء شخصياتها بعيدا عن تلك المغريات إنها اختارت أن ترتبط بالصفصاف رمز السمو والعلو والارتقاء، وفي الوقت ذاته رمز التمسك واليقين فكانت بذلك امرأة قريبة تعكس لنا صورهم لقد كانت الجازية محور الحديث الروائي، لم تكن شخصية الجازية في الرواية من ناحية الجمالية امرأة عادية "اه من الجازية"¹، وإنما كانت أسطورة إلى أبعد الحدود، جعلت تستقطب كل الشخصيات الروائية، وجعلت الكثير من الشباب يرغبون في بهذا الجمال الفتان، وقد كثر الحديث على جازية الأسطورة ومما زاد في شأن الجازية فهي ابنة شهيد ورمز التضحية والفداء والجازية في تصور الشعبي امرأة بعيدة الجمال وخرافة الذكاء وحسبها لا يوصف ونفاذ بصيرتها لا يحد قد تختلط صورتها أحيانا بصورة بطلات الحكاية الخرافية مثل أميرة الجن، ولونجا في صفة الجمال غير أنها تظل متميزة تميزا جازية فقد كانت "الحلم الذي يمنح القرية هالة أسطورية إنها تجسيد لسيطرة القيم في توجيه العلاقات الإجتماعية"².

الجازية يستمدّها ابن هدوقة من التراث الشعبي وهي المرأة الأسطورة "إذا سكنت هب الدراويش لإقامة زردة، استرضاء لها واستعطافا"³الجازية هي النوع المتدفق في حياة¹ أهل القرية، وهي كما قال "الأخضر بن الجبالي".

¹ عبد الحميد بن هدوقة رواية الجازية وال دراويش دار الأدب، بيروت، 1984، الجزائر، ص9.

² عبد الحميد بن هدوقة، رواية الجازية وال دراويش، ص 99.

³ عبد الحميد بن هدوقة، رواية الجازية وال دراويش، ص 102.

لابنه وهو يرغب الزواج منها "الجازية ليست فتاة هي الحياة من دخلت داره فاض خبره وعلا نجمه"¹ الجازية الرمز الفتاة أرادها ابن هدوقة أن تغير الواقع فتراها هي الأخرى حبيسة الواقع...

"حجيلة: فتاة صغيرة في العمر جميلة المحيا خجولة عفوية مهتمة بما يحدث في دشرتها " حسننها يملأ المراح "² لكن "حجيلة " في رواية الجازية وال دراويش هي المرأة الجسدية فتظهر لغة الجسد في نظرة العابد ابن السايح "إن حضور الأنوثة بأجمل صورها في هذه الفتاة العذبة، ملأ الجو النفسي المادي لعابد. لكنه مضطر لكبت مشاعره الجنسية رغم كل تغنت يجده في ذلك "³

كما حافظ عبد الحميد ابن هدوقة على حضور المرأة المتفتحة فيما يظهر في شخصية صافية الفتاة المتعلمة بنت المدينة التي حضرت للدشرة من أجل مشروع السد مع اللجنة، هي لا تشبه فتيات الدشرة البتة سوى أنها أنثى مثلهم، جريئة نشيطة تلبس لباس عصري، وتدخن كذلك دون خجل بل أمام الجميع، هي لا تغير اهتمام كثيرا للعادات والمعتقدات. "في سروال جين أزرق يضبط وركيها كانت تدخن "⁴ والدشرة قد جمعت المرأة الأسطورة، والمرأة البريئة، والمرأة الطليقة. العادات والتقاليد ومخلفات المستدمر بقيت المرأة الجزائرية تعيش تناقضات، بين التحضر والتخلف وبين الخجل الوقاحة.

المرأة في رواية الجازية وال دراويش كانت المرأة الرمز، تترجم واقع اختلطت فيه الإيديولوجيات.

¹ عبد الحميد رواية جازية وال دراويش ص 68

² عبد الحميد الرواية: الجازية وال دراويش، ص 46

³ عبد الحميد الرواية، ص 102

⁴ الرواية، ص 50.

1-5 المرأة في رواية غدا يوم جديدا:

كما صور لنا عبد الحميد بن هذوقة المرأة في رواية "غدا يوم جديد" والمتمثلة في شخصية "مسعودة"، "مسعودة" اللغز، إنها فتاة البارحة، عجوز اليوم. تريد غسل عظامها كما قالت بماء زمزم. "أريد الذهاب إلى الحج لغسلي عظامي"¹

وراء هذه العبارة معان كثيرة. إقرار مسعودة على الحج لابد أن ماضيها لم يكن مشرف كأبي فتاة، حيث عاشت مسعودة في الريف أين الحياة البدائية تتحكم فيها الطبيعة، خروج مسعودة إلى الوادي تحمل قربة من أجل الماء مع صديقتها أين تكون البراءة على المحك في لقاء شبان القرية أين ينتظرهن هناك، كانت مسعودة كأكثرية الفتيات فقدت شرفها وهذا ظهر عند ليلة دخلتها أين أنقذتها عمة قدور "قربة الماء"² عبارة قربة ماء أصبحت كناية لكل فتاة فقدت شرفها في الوادي هذه العبارة أنقذت الكثيرات، مسعودة كانت تحلم بالخروج من تلك القرية البائسة تغير حياتها إلى الأحسن تهرب من ظروف القرية، تهرب من بطش عزوز زوج أمها، تهرب من ضعف أمها تتجه إلى الحرية والجمال واللهو، مع قدور زوجها العصبي الذي حطم أحلامها في المحطة قبل الوصول إلى العاصمة أين أخذ إلى السجن جراء عصبيته، غير أن الشيخ أحمد أخذها إلى بيته لم تحس مسعودة بالحب إلا مع ابن الشيخ أحمد كيف لهذا الشاب لا يحب مسعودة وهي تلك الشابة البيضاء.

قدور كان يمثل شخص مساعد فقط لمسعودة للهروب إلى الحياة التي رسمتها في العاصمة. مسعودة كانت فتاة وأصبحت عجوزا، قد عاشت الكثير من الصدمات منذ نعومة أظافرها استشهاد والدها وهي صغيرة لم تشبع من حنانه ولا من عطفه، زواج أمها من عزوز الرجل الإقطاعي الذي كان يأخذ كل شيء يريده فهو تزوج بأم مسعودة طمعا في أراضي مسعودة التي تركها لها والدها بعد استشهادها، تتزوج بقدور الذي يعمل في العاصمة غير أنه

¹ رواية، غدا يوم جديدا، دار الأداب، بيروت، 1993، ط2، ص 98.

² عبد الحميد رواية، ص 101.

كان عصبي ولطالما كان يبين غيرته على شرفه وزوجته عندها بقي في السجن، وتركها وحدها لا تعرف ماذا تفعل مسعودة. الفتاة كانت تريد أن تبدأ حياة جديدة تنعم فيها وكانت ترى ذلك لا يتحقق إلا في العاصمة، لكن أني لها ذلك وهي زوجة قدور العصبي الغيور؟ الذي قضى جل حياته في السجن بتهمة القتل العمدي لا شيء. لأنه يدافع على شرفه فالرجل كان ينظر لزوجته، تحمل مسعودة ولم تجد مصير لهذا المولود إلا العمل في البيوت عملت عند أسرة فرنسية لكن قد تعلمت في هذه الأسرة كيف تأكل وكيف تجلس وكيف تشرب دون أن تحدث صوتاً كأن المرأة الفرنسية تريد أن تجعل منها امرأة متحضرة "علمتني تلك الفرنسية كل شيء، كيف أكل، كيف أشرب. كنت من قبل عندما أكل أملاً فمي ... وعلمتني ألا أمتص الماء ولا أبلعه حتى لا أحدث صوتاً"¹ أرادتها امرأة عصرية تعرف أبجديات الحياة امرأة متحضرة.

لم تكن حياة مسعودة سعيدة في العاصمة كانت الظروف أوقعنها لأن تقوم بما لا يجب لقيام به واليوم مسعودة قد حققت ما كانت تريده الحياة الجميلة: قصر وأبناء متعلمون، ولكن مسعودة تريد غسل عظامها بزيارتها لبيت الله الحرام لأن ماضيها لم يكن كما يجب لظروف اجتماعية تتحكم فيها ظروف سياسية حتى لما تزوجت.

من يتمعن في رواية "غداً يوم جديد" وحياة "مسعود" قد يرى أن شخصية مسعودة هي الجزائر فحياة مسعودة تمثل حياة الجزائر قبل الثورة وأثناء الثورة وبعد الثورة. وهذا ما عهدناه عند الروائي عبد الحميد بن هذوقة في إنتاجاته. المرأة تمثل عنده الوطن وتمثل عنده الثورة وتمثل عنده الأرض.

لا يمكن الحديث عن مسعودة دون التنويه "لخديجة" خطيبة قدور السابقة، التي لعبت معها ظروف المجتمع القروي لعبها، هي مثلها مثل بنات القرية تذهب للعين بقربتها تعجب بشاب من القرية، لكن هذا الإعجاب وصل بعد مدة إلى خطيبها قدور العصبي اشتعلت ناره دون أن تتطفئ. وقبل هذا الخبر قدور كان غاضبا بما قامت به "خديجة بالرسم على وجهها

¹ عبد الحميد رواية غداً يوم جديد، ص 176.

وهذا لم يتقبله أبد لأنه سيأخذها إلى العاصمة وستصبح سخرية للجميع. غير أنها كانت ترى نفسها جميلة بالوشم. والوشم يعني أنها أصبحت امرأة ناضجة وليست فتاة.

مسعودة وخديجة شخصيتان تتشابهان في كونهما امرأة فقط لا غير ذلك. لأن كل واحدة ونظرتها في الحياة.

المرأة في رواية غدا يوم جديد ضحية مجتمع لم يعرف كيف يحتوي المرأة لا في الريف ولا في المدينة.

2- الأرض في روايات ابن هدوقة:

الأرض هي الرقعة الجغرافية التي ينتمي إليها أي كائن حي. إنسان كان أو حيوان أو نبات، والله بحكمته الجليلة جعل لكل مخلوق حيزه الذي يلائمه، لذا ورثه إياها، لقوله تعالى "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"¹ فتتشأ علاقة متينة بين الكائن ورقعته. فيحافظ عليها ويدافع عليها، حتى قرننها بشرفه وكرامته، وجعلها رهن روحه.

لو جئنا إلى روايات ابن هدوقة نجد الأحداث تجري بين الريف والمدينة ولكن الأبرز كان الريف حيث كانت البادية أو القرية أو الريف كلها لها معنى واحد وهو تعبير عن الأرض فقد أخذت القسط الوافر ومكانة استراتيجية ووظيفة هامة في أعمال الروائي.

فالأرض عند أهل الريف تعني الشرف، تعني الكرامة، تعني القوة، "ولا نكاد نعثر على نص روائي في روايات عبد الحميد بن هدوقة عشية الاستقلال إلا وجدنا فيه ذلك التواتر الحداثي للريف والمدينة بحسب ما أملت طبيعة المجتمع الجزائري بعد الاستقلال."²

لقد قدم عبد الحميد بن هدوقة صورة الواقع الاجتماعي بتناقضاته المختلفة في رواية "ريح الجنوب" ورواية "نهاية الأمس" بان الصبح و"الجازية والدرأيش" و"غداً يوم جديد". فكانت هذه الروايات مرآة عاكسة لما يجري في الحياة الريفية فلم يرقم الروائي بتصوير الواقع (فوتوغرافياً) بل قام بصياغة الأحداث والوقائع صياغة فنية جديدة، فلقد تبنى الروائي (الصراع الأيديولوجي)

¹ سورة البقرة، الآية 30.

² محمد المسعودي، طنجة، المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر لرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية يرح بوعريش، وزارة الثقافة، 1476، 2009، ص 28.

وكشف عن معاناة الطبقة الفقيرة وعبر بواقعية وصدق هذه المعاناة التي عايشها لا تنحصر في استبداد المستعمر وقهره لهذه الطبقة المحرومة بل نجد أيضًا الطبقة الإقطاعية التي هي من صنع الاستعمار، كما كتب الروائي هذه الروايات وهو متشبع أيديولوجيًا "الحزب الواحد" الذي فرض وحدة الفكر ووحدة العمل، طغت روح التفاؤل على الروايات كما يؤمن بها الروائي أشد الإيمان جاعلاً هذه الروح عالقة في أذهان القراء، كانت لغة الروائي معبرة بصدق عن البيئة الريفية وما عاشته من ويلات الاستعمار، لا تحكي لنا قصص مسلية، بل تروي لنا صراع الإنسان ضد الطبيعة، حيث وظف الكاتب لغة هادئة تحمل دلالات تعبر عن النهج الاشتراكي، الذي يسعى الكاتب إلى توظيفه، فالمضمون الفارق في المباشرة الواقعية مرتبطة بالفلسفة الماركسية، كشف عن الصراع الذي تركز عليه الواقعية "الاشتراكية" ليس صراعاً بين أفراد معزولين عن القوى الاجتماعية، ليس على غرار الرواية البورجوازية التي تهتم بمواجهات الأفراد ضد بعضهم البعض، بل الصراع القائم هو بين الشرائح الاجتماعية الفقيرة من جهة وقوى الاستعمار من جهة أخرى، فالصراع الذي نستقرئه من الواقعية الاشتراكية ضمنه الأرض، فالجزائري يصارع ضد أرضه، ويصارع من أجل أرضه، ويصارع من أجل أرضه الكبيرة.

جاء قانون الثورة الزراعية حتى يؤمن الأرض، وهي حقيقة تاريخية ذات جذور في المجتمع الجزائري وأصبحت ضرورة وتأسلاً، لها أبعاد عميقة منظمة قانونيًا وكانت النفوس تنتهياً للاستقبال (ميثاق الثورة الزراعية) الذي صدر سنة 1971 في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين، حيث كانت الإجراءات صارمة عنيفة مخفية للإقطاعيين وضروب الإقطاعية، مبشرة ببداية النهاية، كما يمثلها الجميع حقيقة كاملة لا قوانين ورقية، نهاية لعهد الأكواخ و(الخماسة) والمستعبد، وفي ذلك المرعى والخمس وتوفير الحياة الكريمة للجميع وفك العزلة عن الريف الذي عان المحن والألم، أثناء الاحتلال والثورة ليه للنهوض بهذا الريف وإعطائه وجهًا جديدًا إن لم ينافس المدن فليصمد في وجه مغرباته على الأقل.

2-1 الأرض في رواية ربح الجنوب:

تمثل "بن هذوقة" الأرض في ربح الجنوب في شخصية الإقطاعي "عابد بن قاضي" الذي أربه قانون تأميم الأراضي فكان يحس أراضيها التي جمعها بالتحايل من سكان القرية تنقلت من بين يديه، فكان هذا الأمر يأرقه ويرى أن لا بد من مخرج من هذه الأزمة، فكان يرى المنفذ في ابنته "نفيسة" وذلك بتزويجها شيخ البلدية والمنفذ لقانون (التأميم الأراضي) "مالك" "أبدى المؤلف بعض الذكاء في حرص ابن القاضي على طي صفحة الماضي، وفتح صفحة جديدة مشرفة"¹ فابن القاضي ذلك الرجل الجشع، اليقظ، الحريص على مصلحته الخاصة وهي إملاكه للأراضي مهما كلفه من جهد وتضحيات حتى بكرامته وأهله وسمعته، لقد حاول التضحية "بنفيسة" تهرباً من قانون الإصلاح الزراعي على أرضه فكان يرى "مالك" صمام أمان وأنه كفيلاً بحمايته من قانون الثورة الزراعية.

ابن القاضي كان يضع الأرض أولى من "نفيسة" فالأرض تمثل له السلطة والقوة والمكانة الاجتماعية "فإذا كانت الأرض عند ابن القاضي أهم من الإنسان، فكانت الأرض عند السكان القرية مصدر الغذاء والحياة الهنيئة خاصة عند الرجال والشيوخ لأنهم دفعوا عليها الغالي والنفيس، أما عند الشباب فكانت تمثل مصدر رزق متعب قليل الإدراج، وهنا يظهر الحوار الذي دار بين الشاب من القرية والشيخ "لكن هذه الأرض لا تصلح لأي فلاح تخدمنا لسنة، إذا ما تفي به لا يكفي لقفة شهر، فرد عليه الشيخ أنت لا تعرفها يا بني، ولا تعرف الفلاحة، إن أرضنا ليست ككل الأراضي لا تعطي دفعة واحدة، لكن الذي يعرف كيف يرودها تمنحه نفسها" ويعيش الإنسان الريفي لأرضه لا لأرض الغير يخدمها، ولا يمكن أن يخدم أرض غيره كما قال مالك: إن الناس لا يحبون أرض الغير لا يحبون أن يبقوا عبيداً أبداً"²

فالأرض في رواية ربح الجنوب إذا أحببتها أحببتك وإذا كرهتها كرهتك وثارت ضدك.

¹ محمد المسعودي، طنجة، المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر لرواية عبد الحميد بن هذوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريج وزارة الثقافة 2009.

² الرواية نهاية الأمس، ص 48.

2-2 الأرض في رواية نهاية الأمس:

وكذلك يظهر لنا ابن هدوقة تقريباً شخصية ابن القاضي في شخصية ابن الصخري في "في نهاية الأمس"، كذلك ابن الصخري من الإقطاعيين الذين ورثوا القوة والسيطرة من المستدمر، فكان همه استنزاف سكان القرية واستحواذه على أراضي القرية، كما أن المعلم بشير من يمثل تأميم الأراضي والاشتراكية، مما جعل الصراع بينهما قائم فكان ابن الصخري يرى أن القرية وأراضيها وما عليها ملك له "جنان القرية في الواقع معظمها لابن الصخري والباقي للسكان"¹ فكان يوتر موضوع الاشتراكية والثورة الزراعية فأراد إخراج المعلم البشير من القرية حتى يتركه وشأنه فكان يعيق كل مشاريعه، فمن أجل استلائه عليها ويريد أي كان التدخل في شؤون القرية كان يقوم بسلوكيات إجرامية ليعيق مشروع البشير فكان يرى أن الماء ملكه ولا يمكن إيصاله ولا المرور على أرضه، فالأرض في مخيلة "ابن الصخري" هي الموت أو الحياة.

إن الماء "في نهاية الأمس" الذي دار حوله الصراع بين البشير وابن صخري هي الأرض، وهو الصراع الحقيقي في هذه الرواية يعود بالأساس إلى ملكية الأرض الخصبة التي تتوفر على احتياطات مائية جوفية وسطحية غزيرة. وهذه الأرض طيبة صالحة لكل المزروعات، غير ما تأسف له المعلم هو الإهمال لهذه الأرض فقال: "يشتكون قلة العمل والفقر بينما العمل أمامهم والثروة بين أيديهم"² لم يتوفق ابن صخري في جشعه بل كان يرهن أرض كل فقير إذا لم يسدد دين القمح والشعير أخذها يقول بغرارة للمعلم "إذا كان القنطار يساوي مائة دينار معجلاً هو يبيعه له بمئتين مؤجلاً"³

فابن الصخري ما يقوم به إلا تقليدا لما قام به المستدمر وابن الصخري تربى على أيادي المستدمر الذي علمه أن أرض الجزائر كنز لا يستهان به.

الأرض في رواية نهاية الأمس صراع بين العلم والجهل.

¹ ابن هدوقة، رواية نهاية الأمس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ط 2، ص 120.

² عبد الحميد رواية نهاية الأمس، ص 120.

³ عبد الحميد رواية، ص 148.

2-3 الأرض في رواية الجازية وال دراويش:

هي محور صراعات فكانت الأرض تمثل لأهل القرية، أصلهم ومصدر رزقهم فبعد مجيئه اللجنة التي أرادت أن تبني قرية جديدة للعيش فيها مع توفير كل ما يحتاجونه غضب أهل القرية من هذا القرار ورفضوه رفضاً قطعياً " الشجرة لا تهرب من عرونها".¹

الأرض في الجازية وال دراويش هي الدشرة، فالصراع القائم كان بين الحكومة التي تريد إخراج السكان من الدشرة لأنها ترها مكان مهم لبناء السد لجمع المياه، أما السكان يرون أنهم يفضلون الموت على أن يسمحوا في أراضيهم كما تقول هادية: " العروق هنا. الإنسان كأشجره تربطها بالأرض عروق. إذا اجتثت منها عرونها ماتت".²

طمع الشانبيط في أرض السكان أدى به إلى المغامرة بحياة أهل القرية في ترحيلهم إلى قرية جديدة غير صالحة للعيش، فيما تكشف نواياه فيما بعد بأن السد غير صالح بناؤه في الدشرة. واللجنة لا زلت تحقق. لكن الحق ينتصر وتظهر حقيقة ابن الصخري في قتل الأحمر الذي عرف حقيقة ابن الصخري في الاستحواذ على القرية كاملة وهذا ماجاءت به صفة التي تنقذ سكان القرية بملف تركه الأحمر الذي ذهب ضحية طمع ابن الصخري.

الأرض في رواية الجازية وال دراويش قضية موت أو حياة

2-4 الأرض في غداً يوم جديد:

عين عزوز الإقطاعي على أراضي الأهالي والسيطرة على عقولهم، جاعلاً التدهور الاجتماعي والتخلف الفكري مرجعية تحفيز به للحفاظ على الأرض، وبذلك تغدوا الأرض قيمة من قيم المادية التي يسعى الإقطاعي إلى تملكها وخدمتها، هي نظره "هبة من الله لا يجوز المساس بها، والسيادة والشرف لا يتمتع بهما إلا صاحب الأرض".³ هذه النظرة ستؤدي بغرور إلى إحكام الخطة للاستلاء على أراضي القرية بما أن أهلها لا يخدمونها ولا يبالون

¹ عبد الحميد الجازية وال دراويش، ص 98.

² عبد الحميد ابن هودقة، رواية الجازية وال دراويش، دار الأدب ببيروت، 1984، الجزائر.

³ مخلوف عامر، تجارب قصيرة وقضايا كبيرة، مقالات نقدية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص 55.

بها، لذلك سيستغل وضع القائد لا تباع رغبته وتحقيق مسعاه، وهو ما جعل بطله الرواية تعترف بوقائع زوج أمها عزوز قائلة "عزوز لم يكن سمادًا، كان فسادًا وهو أمثاله أفسدوا غلال أرضنا الطيبة"¹ دهاء عزوز وذكاءه مكناه من استغلال أوضاع القائد، لذلك سارع في تنفيذ أوامر سيده تحقيقًا لمسعاه (الاستلاء على الأراضي) ما دمت الإدارة لم تستغن عن خدمات الرجل. "المهم الآن هو التخطيط لحياة ابن القائد، لابد أن يجعل منها وسيلة ليصبح هو القائد الحقيقي وسيستولي على الدشرة وعلى أراضيها."² "كل الأهالي أموات، أخذ منهم المعمرين أرضهم وعرفتهم وشرفهم شيء لا يصدق العقل."³

رائحة الأرض ملأت نفسه عطرًا ونشاط، كم يحب هذه الرائحة التي تنتفسها الأرض في أصبحها الندبة، إنه بدلوا اختضنها وأزال عنها كل البؤس الذي شكوا منه لإهمال أصحابها لها. طمع عزوز وجشعه جعله لا يستغل أوضاع القائد فحسب إنما إهمال لأهلي للأراضي في تلك القدرة كان حفزًا مبررًا للاستلاء عليها، لطالما الشخصية الإقطاعي تواطأت مع الإدارة القرنية ضد الأهالي حتى أنها "تقاسمت مع المعمرين كل الأراضي الزراعية"⁴ فلئن كانت المقاطع المثبتة أعلاه تحيل إلى دلالة الاستلاء والاستغلال بينما تستجلي الإقطاعية في حب الأرض بغية إخراجها من بؤسها، فإن محاولة ربط هذا المخصوص (إخراج الأرض من البؤس) "عزوز يعرف الأرض، ويعرف كيف يسحبها من أقدام أصحابها هو بارع في ذلك السياسة هي الأرض لو عرف أصحابها كيف يحافظون عليها لما أخذها منهم الكلون..."⁵

إن الأرض بالنسبة لعزوز هي السياسة، هي الهروب من الفقر، هي الطريق لتحقيق الاثراء، لذلك ستعززه هذه السياسة علاقته برجال الإدارة ومسؤوليها، ومن ثم سيسيطر على عقول الناس، ما دام لا يتمنون رائحة الأرض، ولا يدخرون جهدًا لخدمتها منها، استنادًا إلى

¹ عبد الحميد رواية غدا يوم جديد، ص 234

² عبد الحميد رواية، ص 234.

³ عبد الحميد رواية، ص 270

⁴ عبد الحميد رواية، ص 71

عبد الحميد 5 غدا يوم جديد، ص 21.

الحمولة الدلالية التي تظهرها المقطوعة الآتية: "هذه الأراضي البور كلها يمكن أن تستصلح الفقر لا الفقر اسمه "الدومينو" في المقاهي، اسمه الامتداد على الظهر والنظر إلى السماء اسمه استناد الظهور إلى جدران خشبية أن تنهار اسمه النوم إلى منتصف النهار من لا يرى الفجر، لا يرى الأرض؟ ومن لا يفرق من الروائح الأرض وألوانها المتعددة المتعاقبة، من مطلع الفجر إلى مطلع الشمس، من لا يعرف كل هذا كيف لا يكون قصيراً؟" ¹ تعتب الملفوظة إلى حالة التدهور الاجتماعي والعوز المادي لسكان الجبل الأحمر فهو ذلك بذلك بعكس صورة من صورة الريف الجزائري الذي لا يزال يعاني الفقر، البطالة والرتابة ... فلا بد لهذه الحالة أن تكون حافزاً للاستغلال أراضي الدشرة والسيطرة على أهلها من قبل الإقطاعيين الذين لا هم لهم الجمع الأموال واستثمارها بطرق احتيالية تجعل أهل القرية يسد بدقة في الرواية من خلال تعدد الكاتب أشكال الإسباد بضربته المادي المعنوي. فالأرض في رواية غدا يوم جديد نقطة ضعف الإقطاعيين.

الثورة في روايات عبد الحميد بن هدوقة

إن للثورة وقع خاص على نفوس الجزائريين بصفة عامة، والكتاب بصفة خاصة، وكان ابن هدوقة واحد من الذين كتبوا من أجل الثورة، وللثورة، حيث وقف على معاناة شعبه أثناء الاستعمار الفرنسي. تعتبر الثورة الجزائرية من أكبر ثورات العالم كما صنفها المؤرخون. أنها ثارة تكتب بحروف من ذهب بعد ثورة صلاح الدين الأيوبي في تحريره للقدس، ولأن الثورة التحريرية الجزائرية عظيمة بعظامة شهدائها ومجدها وسكانها ورجالها ونسائها وأطفالها، قد ألهمت العقول وشغلت الشعوب، ناهيك عن الأدباء والشعراء من جميع دول العالم وخاصة أدباء وشعراء الجزائر وهنا نتوقف عند الكاتب والمؤلف والروائي "عبد الحميد بن هدوقة" فعبد الحميد بن هدوقة، الذي توقف عند معاناة الشعب الجزائري باعتباره شخصية عاشت الحدث فصور لنا الواقع المر الذي عاشه الشعب الجزائري.

¹ عبد الحميد، رواية غدا يوم جديد، ص9.

تمثلت الثورة في روايات ابن هدوقة الخمس في الثورة التحريرية وصراع الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي، كما تمثلت في قانون الثورة الزراعية، وكذلك الثورة النفسية لشخصيات الروايات ضد أوضاع خاصة.

لا شك أن دخول فرنسا إلى الجزائر سنة 1831 لم يتقبله الشعب الجزائري بتاتا، ومنذ حينها كان الشعب الجزائري يفكر في إخراج هذا المستعمر من أرضه الطاهرة فكانت بالمقاومات الشعبية ثم بالمقاومات السياسية وأخيرا بالثورة التحريرية الكبرى، وكلها حملت لؤم الثورة ضد المستعمر من أجل إخراجهم وكسب حريته التي كان يراها حقاً شرعياً له لا يمكن التنازل عنه. رغم أن "ابن هدوقة" قد ألف أول رواية له كانت سنة 1970 يعني بعد الثورة غير أن وجود الثورة التحريرية في كتاباته كانت على شكل ذكريات من أشخاص الروايات.

لفظ الثورة تكرر كثيرا في روايات ابن هدوقة الخمس، لو لم تشغل الثورة ذهنه ما كتب. ثورة ضد مستعمر خارجي غاشم المتمثل في فرنسا، وثورة ضد مستعمر داخلي والمتمثل في رجال الإقطاع وما ورثوه من جشع عن فرنسا، كثورة نفيسة ضد والدها، وثورة رابح الراعي ضد وضعه، كما تجلت الثورة في نهاية الأمس وقوف المعلم ضد ابن الصخري كما وقف ضد المستعمر، وثورة نعيمة وابن عمها ضد ورثة المستعمر الذين أرادوا أن يكملوا مشروع فرنسا الاستعمارية، وتظهر الثورة جليا في الجازية وال دراويش في خروجهم من خوفهم ضد الإقطاعي الذي أراد أن يسرق حياتهم وماضيهم وذكرياتهم، أما الثورة في غدا يوم جديد تتمثل في شخصية مسعودة. والثورة الزراعية هي الحدث الجديد. فكانت ثورة ضد الجشع والطمع والانتهازية فجاءت لتكمل مشروع الثورة التحريرية.

ولأن روايات ابن هدوقة تحدثت عن الثورة التحريرية بصفة خاصة ومخلفاتها فتعتبر هذه الأعمال بمثابة تاريخ مجيد.

3-1 الثورة في ريح الجنوب:

أوجد "ابن هدوقة" الثورة في رواية "ريح الجنوب" بالعودة إلى أيام الثورة عندما التحق "مالك" بجيش التحرير، فشخصية "مالك" المجاهد الثوري وذكرياته مع خطيبة "زليخة" بنت

القاضي التي استشهدت في كمين دبّره المستعمر الفرنسي هذه الحادثة التي غيرت مجرى حياته حيث تقول العجوز "رحمة"... "ما وقع في الثورة كان قدراً محضاً لم أراه ضاحكاً منذ أن قتلت زليخة إن حزنه مزال لحد الآن يملأ نفسه وحياته"¹. حيث زليخة كانت ضحية تقدير خاطئ أثناء الثورة كما أصيب الكثير من الجزائريين. كما أن الثورة لا زالت في حياة الجزائريين يذكرونها بين الحين والآخر حيث تقوم العجوز رحمة تصبر خيرة في وفاة ابنتها زليخة "لا تبكي يا خيرة إن أيام الأحزان تقابلها أيام المسرات، والثورة الآن انتهت ... ألا تذكرين تلك الأيام السوداء التي عشناها؟ كانت أياماً شبه... هددت فرنسا وزمجرت وملأت الأرض والسماء دويًا، ولكنها في النهاية انكسرت وبقيت الأرض لأهلها."². فردت عليها خيرة "وبقيت لنا الذكريات المؤلمة دفناً أخيراً يا خالة"³. غير أن مالك اتصف بالوفاء ليس لخطيبته زليخة فحسب بعد الاستقلال ولكن كان وفياً للثورة كذلك وأخذ على نفسه وعداً بإنجاح مشاريعها الثقافية والزراعية والصناعية التي نهضت على إيديولوجيات اشتراكية، فكان مالك في شبابه الأول، له قيمة عند الناس، لأنه أول رجل يحمل السلاح في القرية والتحق بالمجاهدين، فالثورة عند مالك هي مسألة حياة أو موت، هنا يذهب بنا الروائي إلى أيام جاء مالك للقرية ليأخذ مبلغاً من المال من السكان ليساعدوا الثورة لكن ابن القاضي أراد أن يخرج من هذا المأزق فوجد ابنته زليخة الحل الوحيد وكان مالك قد وقع في حب زليخة وزليخة كذلك، لكن الثورة جعلت هذا الحب روحي لا مادي، لأن الثورة عند مالك شيء مقدس. الثورة عنده أهم ولكن كانت الواقعة وضع كمين قصد قتل مالك ورفاقه من طرف المستعمر الفرنسي فراحت ضحيتها حبيبته وزوجته المستقبلية "زليخة" فكل شيء يهون من أجل الثورة.

والروائي أراد يعطينا نوع آخر من الثورة لا تختلف عن الثورة ضد المستعمر وهي ثورة إيديولوجيا عاشها مالك ضد الانتهازين، وعاشتها نفيسة ضد قرارات والداه الحتمية لمصالحه

¹ عبد الحميد رواية، ربح الجنوب، ص 33.

² عبد الحميد رواية، ص 33.

³ عبد الحميد رواية، ص 33.

الخاصة انفجرت يومها "قولي له لن أتزوج"¹ لتهم بالهرب معلنة حرب ضد والدها، ولا ننسى ثورة وانفعال رابح الراعي الذي تغيرت فكرته يوم هجومه على نفيسة وعيرته بالراعي القذر. فثار ضد الذل وتوقف عن مهنة الرعي عند الأغنياء.

الثورة في ريح الجنوب أولى من الحب، والثورة هي تحرير النفس كذلك.

3-2 الثورة في نهاية الأمس:

تظهر الثورة في شخصية المعلم البشير الذي يعتبر النموذج الثوري لمجاهد الذي حارب المستعمر البشير قبل أن يكون معلماً كان مجاهداً تدور أيامه بين الهضاب والجبال متصدياً للعدو يحمل في قلبه عزيمة وشجاعة في إخراج العدو من أرضه الطاهرة أصيب في الجبل وأخذت الحرب أهله "وعلم أن أهله قتل منهم من قتل، وفقد منهم من فقد"² ولأنه يمجّد الثورة إلا أنه لم يتمتع بأيام فرحه عندما تزوج برقية الفتاة النجيبة الجميلة التي عشقها من أول نظرة فلم يكمل معها شهر العسل، بل عاش معها بضعة أيام فقط لأن الواجب الوطني يناديه ويرى الحياة جميلة مع زوجته تكمن بعد إخراج فرنسا من أرضه الطاهرة فكان يؤمن بأن ذلك اليوم سيأتي لا محال وكل فرحة وسعادة تؤجل إلى حين. وقد قال لزوجته وهو يودعها: "معنى هذا الفراق. إنه من أجل أن نحيا حياة أخرى لم يعرفها وطننا"³ أما يأخذ الروائي في رواية "نهاية الأمس" الحركي في نكره للثورة فهذا الخائن لوطنه وعرضه وما عاشته أمه من أثار للثورة لأنها أحببت الثورة والحرية والاستقلال وكم كرهتهم لأنها في الحقيقة لا يحق لها أن تخرج وتعيش الهناء والاستقلال كالبقية لأنها أم لخائن. وثورة أخرى عاشها المعلم البشير بعد الثورة وهي ثورة ضد عدو داخلي إقطاعي كان يعرقل كل طريقه نحو التغير للأحسن. فكان يقطع مشروعه في تربية القرية وتحويلها إلى مكان يشع بالخيرات والعلم وبإعادة المياه إلى مجاريها، وترميم

¹ عبد الحميد رواية ريح الجنوب، ص 58.

² عبد الحميد رواية نهاية الأمس، ص، 482

³ عبد الحميد رواية، ص 38.

المدرسة " فلونت حياته بمواقف ونظرات مندرجة تصب جميعها في مفهوم الثورة على الواقع الفاسد"¹

فتورة البشير تدور حول ثلاثة محاور: تحرير الماء، وتحرير المدرسة وتحرير المرأة من قبضة إقطاعي قام باحتكار الماء وتجميد المدرسة واحتقار المرأة. الثورة في رواية نهاية الأمس هي أحلام يجب أن تتحقق.

3-3 الثورة في رواية بان الصباح:

تمثلت في شخصية الأخوين "علاوة" و"صالح" وكما عودنا الروائي "بن هدوقة" فالحديث عن الثورة التحريرية ينقلها لنا عن طريق الذكريات، فالذكريات نعيمة، عندما تتذكر وهي صغيرة عند عمته دخول رجل عسكري عليهم فإذا بعمتها تبكي "أخي...أخي العزيز ابن أمي عدت حيا ... عدت إلينا أنا ونعيمة...كم أنا سعيدة كم هو سعيد هذا اليوم...²، وتدور تلك الصورة في ذاكرة نعيمة كيف حملها الجندي في ذراعه وقال لها: "هل تعرفين من أنا؟ أنا أبوك؟"³ فالثورة جعلت من والد نعيمة يفضلها على ابنته التي كانت يتيمة الأم وكذلك يتيمة الأب لكنه حب الثورة عند الجزائري شيء مقدس لا يمكن الاستهانة به والثورة ضد فرنسا يجب أن تكون ولا يوجد حلا سواها لأن الإنسان الجزائري يجب أن يعيش حياة هنية حياة ملؤها الحب والسعادة والهناء سعادة تكمن في جمع العائلة. وهناك ذكريات عند نعيمة لما كانت صغيرة من ذكريات الثورة لكنها ليست بالكثير، كل حرب التحريرية تمثلها في نفسها صورة واحدة لا غير "تأتي الشاحنات معبأة يخرجون من القرية من رجال ونساء وأطفال من بيوتهم، يأمرهم بالوقوف إلى الحائط ويعود من حيث أتو، في بعض الأحيان يأخذون معهم رجالاً"⁴ هناك صورة أخرى لنعيمة عندما يأتيها ضابط فرنسي لباسه نظيف يسمونه أهل القرية "الاصاص" لكنها هي تسميه رجل الشكولاطة فيسألها عن والدها ويعطيها حبة شكولاطة تلك

¹ د سيدي محمد بن مالك رؤية العالم في روايات عبد الحميد بن هدوقة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015، ص 80.

² عبد الحميد رواية بان الصباح 252

³ عبد الحميد رواية بان الصباح 252

⁴ عبد الحميد رواية بان الصباح 253

الصور وهي فتاة بريئة جعلت منها شابة قوية تنثور ضد من يسيء للثورة ولمبادئ الثورة وهذا ما جعلها تنخرط في الميثاق الوطني. دليلة أرادت أن تنثور ضد العادات والتقاليد التي تعيشها العائلة الجزائرية فقد بنت لنفسها حياة خاصة، حياة الترف جعلتها تدخن وتشرب الخمر وتحمل دون تعذيب الضمير، ففي نهاية الأمر ثارت ضد نفسها فكانت حياتها غريبة على غرار أختها التي كانت تعيش صراع نفسي حيث ترى نفسها أحسن من الكثيرات اللواتي تزوجن.

الثورة في رواية بان الصبح هي ثورة ضد فكرة.

3-4 الثورة في رواية جازية وال دراويش:

الثورة في الجازية وال دراويش خلفية تاريخية للحاضر واستدراك للماضي المجيد ويمثل هذا الاستحضار في استدراك شخصيات المجيدة مثل: شخصية والد جازية لأنه يعود بين الشهداء الذين شاركوا في الثورة وقد سطح اسمه وتحول إلى أسطورة يرويها الكبار والصغار وكذلك "السايح" والد عابد الذي أخفى نفسه في الهجرة مع مصطلح الاستقلال، أما بالنسبة للشامبيط فيعد واحد من الخائنين لأنه خان الثورة.

لعل استذكار ابن هذوقة معطيات التاريخ هو ما جعل صورة الحنين لمعانقة الماضي تنبدي للقارئ في شكل مأساة تفنن الكاتب في رسمها "حتى شهداء الثورة دفنوا في مقبرتها مع آبائهم وأمهاتهم وإخوتهم"¹. ثورة السكان ضد القطاعي الذي أراد أخذ أرضهم وحياتهم وماضيهم، حتى ذكرياتهم. فلم يتقبلوا قانون الترحيل ولو يدفعوا حياهم ثمن له، فأهل القرية لم تغريهم القرية الجديدة، ولكن أرادوا قريتهم لأنها حياتهم، فاسترجعوها بكل شدة.

الثورة في رواية الجازية وال دراويش هي ثورة ضد التخلف.

¹ عبد الحميد، الجازية وال دراويش، ص 40.

3-5 الثورة في رواية غداً يوم جديد

الملاحظ أن تجليات الثورة في رواية غداً يوم جديد لم ترسم كوقائع تاريخية محضة، وإنما تجلت كعلامات ورموز تجاوزت قداسة التاريخ وحقيقته على الرغم من أن بطل الرواية "مسعودة" واكبت عن كذب وقائع التاريخ وتآزماته بشكل جعلها تسلمت لتذكر وهي تصارع حياة الواقع المدني الجديد إن ذكريات مسعودة وتجاربها ومخلفات ماضيها، لم يكن إلا حافزاً ومبعثاً لتجديد الذاكرة فهي تعيد ذكرى الشهيد الذي التحق بالجبل دفاعاً عن حرية الوطن وكرامته، ذكرى أبيها المخفي الذي سبب لفرنسا خسائر لا تعد ولا تحصى.

إن توالد الأسئلة من الدرك قدور (ثورية، سياسية، جنسية) في مركز الدرك لم تكن إلا سياسة تبعات ذلك الحس النضالي في نفسية قدور لما انكشف له من خبايا العمل الثوري بخاصة العمل فيما يتعلق بأبي زوجته المخفي بن مرابط، ذلك الرجل الذي هدد فرنسا وقضى على بعض عملائها "عالمًا لم يكن يعرف عنه شيئاً، لو يعرف بعض هؤلاء الذين يتهيئون لمحارب الظلم لكن من أين له أن يعرف، وهو لم يسمع بأبي زوجته الذي كان بطلاً الذي كان بطلاً هدد فرنسا الكبرى".¹ قد نوقش قدور في مسائل كثيرة نوقش منذ البداية كل جزئيات نوقش في معنى اسمه ماذا يراد باسم قدور؟ لماذا اسمي بهذا الاسم؟ هل يعني ذلك تميزاً للقوة أو تذكير بعبد القادر؟ لماذا اسمه العائلي قوادرية؟ هل يفهم من ذلك أن كل أفراد عائلته وقيبلته يصرون العداوة لفرنسا؟ أم أجدادهم كانوا أتباع عبد القادر.

إن دلالة الاسم في الفكر الكوليبالي لها مرجعية (بالأساس) ثورية سياسته حظه بدليل أن الدركين لم يقتتعا بسذاجة فكر الرجل في امتناعه لإجابة عن أسئلتها، فراحا يستقرئان الحمولة المضمونية للاسم، كون دلالة قدور تحمل إلى الحركة الأميرية التي لا يزال أتباعها يعلمون نشر الوعي الوطني بين الأهالي لتحقيق الحرية والاستقلال، فعندما عرضوا عليه

¹ عبد الحميد، رواية غداً يوم جديد، ص 53.

التجنيس أرادوا معرفة حقيقة أمور من مواطن المناضل أو العميل الفرنسي "هل يقبل أن يكون فرنسيًا أو هو من أتباع ابن باديس الراضة للتجنيس"¹.

إن تصور ابن هدوقة للقتل الجسدي في "غداً يوم جديد" كعملي فيزيائية من خلال شخصية قدور لم تكن مستهدفة بقدرها كانت رمز لتسخير أنجع لأساليب والتعبير عن صور البعض والحدق الفرنسي تجاه الذات الجزائرية القائمة أساساً على الاستغلال الاستعماري فكان عملية القتل الجسدي التي تعرض لها قدور في المحجر اللعين عملية مستهدفة أساساً لتحطيم المفاهيم الثورية والقيم التحررية لكل ما تدفعه نفسه للتمرد على سياسة فرنسا لذلك استتكر الحاج أحمد تصرفات قدور قائلاً "لم يدر أنه مستبعد قبل أن يولد كم بدر أن الولد يتبع أمه في الرق والحرية"².

لعل استنكار ابن هدوقة معطيات التاريخ هو ما جعل صورة الحنين لمعانقة الماضي تبدي للقارئ في شكل مأساة تفنن الكاتب في رسمها في عزة الوطن والحربة، ذلك الوطن الذي جعل "المخفي" يقتل "بوشاية" من عزوز -زوج مسعودة -رمز الخيانة والاستغلال في ومضات ثورية خاطفة، تعمقت في ذاكرة مسعودة حتى جعلها تسميت لتذكر ماضيها، تاهت غيرها الهواجس والأحلام لتعبر عن يقظة الثورية والوعي القومي لدى الشعب الجزائري.

"وبهذه الشخصية في الرواية لا تعد أن تكون شخصية واضحة لا تحدث الثورة أكثر منها فاعلة، تجسد للقيم التحررية وسط عالم ينهض على ردم الصراع الاجتماعي والاستغلال المادي استشرافاً لواقع جديد، الملاحظ أن المد الثوري في غداً يوم جديد لا تكاد اشعاعته لتنتقطع عبر فصول كلها ما عدا الفصل الأخير"³.

تعتبر جراءة "المخفي بن المرابط" في مقارعة المحتل عن رؤية ثورية جذرية تبتغي اقتلاع الاستعمارية التي استدعت العباد وخربت البلاد، فقد سمي "المخفي" لاصطلامه بتنظيم الثورة

¹ عبد الحميد، رواية غداً يوم جديد، ص 98.

² عبد الحميد، رواية، ص، 201

³ سيدي محمد بن مالك، رؤية العالم في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص 242.

عسكريًا في الشرق، هناك اشاعات أطلقها الناس تمجيّدًا للـ"مخفي" في ذلك أن "المخفي" هرب لأنه كان يلبس حزامًا من قضية لا يعلمه إلا "عزوز" الذي أطلع الدرك الفرنسي عليه وهناك من يقول إنه اختفى لكن قتل بالمحجر كما قالت "مسعودة". غير أن ثورة قدور لا تتجاوز عضلاته إلى عقله فقد كان شديد الغيرة، سريع الغضب، وهو الذي انتهى به إلى محجر ألسيو ألبير.

كما تمثل الثورة في راشد النقابي الذي صرخ في وجه فرنسا مبدئيًا سخطه من الأحكام القاسية التي أصدرتها المحكمة الاستعمارية في حق المتهمين لم يرتكبوا إجرامًا سوى أنهم لم يشاءوا الاحتفال بمرور مائة سنة على دخول الحضارة إلى الجزائر وهو قد عرض. بهذا الشكل تبنى الرؤية الثورية الظاهرة في سلوك المخفي وكلام النقابي الكامنة في شعور قدور على عاملي الدين والوطن، حتى يتضامن الوطنيون والرعاة من أجل هدف واحد وهو تخليص البلاد من الاستعمار.

الثورة في رواية غدا يوم جديد هي ثورة ضد النفس.

فابن هذوقة احترم المرأة الجزائرية واستعطفها كإنسان لأنها عاشت انعكاسات اجتماعية وظروف سياسية قاهرة، اهتم بالأرض لأن الأرض أعز ما يملك الإنسان الجزائري، فهي مأواه وعذاؤه ومشربه تحمل في طياتها تاريخه وماضيه، قدس الثورة لأنها لولها ما كان الإنسان الجزائري يتنعم بالحرية اليوم، فلم يأبى إلا أن يعيش هذا الإنسان حياة السيادة والحرية في وطن تركوه الأحرار أمانة لأحفادهم. وهكذا صور ابن هذوقة واقع الإنسان الجزائري وقد تمت دراسة رواياته بمنهج أنثروبولوجي.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد رحلة بحث ودراسة معمقة توصلت في الأخير أن الرواية جاءت لتزيد لعلم الأنثروبولوجيا اهتماما، فالعلاقة واضحة مترابطة، كما لاحظت أن هذا العلم الجديد القديم هو كان موجود معالمة نامية، غير أن الوصول إليه من طرف المختصين كان متأخرا، والإنسان منذ وجوده على سطح الأرض جعل لحياته نظاما متطورا عبر الأزمنة مادام الله سبحانه جعل له عقلا للتفكير، فحياته نقلت مشافهة ثم نقلت عن طريق الترميز غير أنني من هذه الرحلة وقفت في كذا محطة فاستخلصت مجموعة من النتائج:

- أن علم الأنثروبولوجيا هو علم قائم بذاته، اهتم بالإنسان وما يخصه، فهو علم قديم الوجود حديث النشأة.
- أن علم الأنثروبولوجيا يخص الإنسان وكل اهتماماته وبالتالي هذا العلم يجب أن يكون له فروع.
- أن علاقة الأنثروبولوجيا بالأجناس الأدبية علاقة متكاملة خاصة التي يكون الإنسان محورها.
- أن علم الأنثروبولوجيا يعتمد على علم التاريخ في التعريف بالإنسان وبمأن الرواية سرد لأحداث وقعت في الماضي فلا بد لهذا العلم أن يوطد علاقته بهذا الجنس.
- أن الرواية أهم الأجناس الأدبية التي يمكن أن تصور واقع الإنسان الاجتماعي والسياسي بكل تفاصيله.
- أن عبد الحميد بن هدوقة روائي فحل بلغته وأسلوبه ومسرديته وأفكاره.
- أن عبد الحميد بن هدوقة اهتم بالمرأة الجزائرية كإنسان، فكان محترما لها، بكى حالها، فكان يتطلع لمستقبل واعد لها. محبا لأرضه متمسكا بها فهي تمثل له الوطن يرى الأرض للجميع، شعاره الوحدة والإخلاص وهما صفتا المواطن الجزائري الحق. -فكان مقدسا الثورة لأنها ثورة تحريرية مجيدة عظيمة عظيمة شعبها، ولكن لا يجب أن يستغل هذا الاسم لمصالح خاصة.

- وأن روايات ابن هدوقة ميزت الإنسان الجزائري عن بقية الأجناس في طريقة عيشه، في ثقافته في عاداته وتقاليده، حتى طبيعة مناخه بريحه بصباحه بليله بنهاره.
- أن مواضيع عبد الحميد بن هدوقة تمحورت في ثلاثة اهتمامات المرأة والأرض والثورة كلها ألفاظ مؤنثة، لا بد أن له نظرة استعطاف حول هذه الثلاثية الأنثوية، وهي رسالة للرجل للحفاظ عليهن. فالمرأة هي حياته فبدونها يساوي الصفر، والأرض عزته ومسرحه وشرفه فهي تحمل ماضيه وتستقبل مستقبله، والثورة كبرياؤه وفخره وحرية فهذه الثلاثية أكد لم تأتي من فراغ، فهي تمثل الكثير للرجل، هذه الثلاثية مقياس لرجولة الذكر.
- وفي الأخير نقول لولا الإنسان ما كانت الأنثروبولوجيا وما كانت الرواية، فمحور الكون يدور حول هذا المخلوق. لذلك نتمنى من الباحثين أن يهتموا أكثر بدراسة الإنسان من كل الجوانب بمناهج جديدة مثل المنهج الأنثروبولوجي.

الملخص:

تناولت مذكرتي هذه قيمة وازنة في مسرديات ابن هدوقة وشرحت فيها أهم أفكاره من خلال منته السردية وقد لاحظت بأنه اهتم بضرورة بناء الإنسان المفكر لا الإنسان المستهلك، والدعوة إلى الأفكار الحية لا الميتة ولا المميتة.

الكلمات المفتاحية: ابن هدوقة، المرأة، الأرض، الثورة، الإنسان، الأنثروبولوجيا.

Summary:

This memorandum of mine dealt with significant value in Ibn Hadduqa's narratives and explained his most important ideas through his narrative body. I noticed that he was concerned with the necessity of building the thinking human being, not the consuming human being, and calling for living ideas, not dead or deadly ones.

Keys words: Ibn Hadduqa, Women, Earth, Revolution, Man, Anthropology.

الملحق

الملحق:

الكاتب الهادي

عبد الحميد بن هدوقة (1925 / 1996): أديب جزائري من الرعيل الأول، جيل التأسيس. بل المؤسس الحقيقي لفن الرواية من مواليد 9 يناير 1925 في قرية (الحمراء) التابعة للمنصورة بـبرج بوعريـريـج شرقي الجزائر، والده علي بن بشير (ت 1967) كان مثقفا ثقافة عربية إسلامية واسعة، أما والدته فهي السيدة زينب مسعود ناصر، وهو أكبر إخوته الستة ثلاث بنات وثلاثة أولاد.

نشأ في وسط فلاحـي وتعلم في كُتاب والده مبادئ اللغة العربية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بالمنصورة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وفي سن الخامسة عشر قرر والده إلحاقه بالمعهد الكتاني بقسنطينة الذي كان فرعا للزيتونة وأساتذته من خريجي الأزهر والمدرسة العربية الإسلامية العليا بالجزائر. فلبث فيه نحو خمس سنوات.

في أواخر عام 1945 سافر إلى مرسيليا وتلقى تكوينا في صناعة تحويل المواد البلاستيكية، ثم عمل في أحد المصانع المتخصصة في هذا المجال.

وفي عام 1949 عاد إلى الجزائر واتصل بالمدرسة الكتانية التي أوفدته إلى جامع الزيتونة بتونس ونال منه شهادة التحصيل، إلى جانب دراسته في معهد الفنون الدرامية الذي تحصل منه على شهادة في التمثيل العربي.

عاد إلى الجزائر عام 1954 ليعمل مدرّسا للأدب العربي في المعهد الكتاني، ولكن بسبب نشاطه السياسي ضمن حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، اضطر تحت ضغط الاستعمار وملاحقته لمغادرة التراب الوطني في نوفمبر 1955 متوجها نحو فرنسا واستقر في مدينة مرسيليا، حيث عامل لفترة في مصنع للبلاستيك، ثم انقطع عن هذا العمل لأسباب صحية، وانشغل بإعداد برامج ثقافية للقسم العربي بالإذاعة الفرنسية، الذي أصبح مخرجا فيه (1957/1958)

غادر فرنسا متجها إلى تونس بأمر من جبهة التحرير الوطني، وكرس وقته للكتابة في الصحف والعمل في الإذاعة منتجا ومخرجا لعدة تمثيلات وبرامج أشهرها برنامج: صوت الجزائر، ألوان، جنة الأطفال (1962/1958)

عمله في الإذاعة والتلفزيون

- بعد عودته إلى الجزائر عمل في قسم الإخراج بالتلفزيون (1962 / 1963)
- منسق عام للمصالح الفنية ومسير للبرامج (1963 / 1966)
- مدير الإذاعتين العربية والقبائلية (1966 / 1970)
- رئيس لجنة دراسة الإخراج (1970 / 1978)
- مستشار ثقافي بالمديرية العامة إلى غاية تقاعده (1983 / 1987)

زواجه

تزوج بن هذوقة أربع مرات، الأولى مع إحدى قريباته عندما كان في سن العشرين والتي توفيت مع وليدتها بعد الولادة، ثم زوجه والده بفتاة من القرية عندما كان طالبا في الزيتونة، والثالثة من سيدة فرنسية أنجب منها بنتا تعيش في فرنسا، وأكمل حياته مع السيدة مليكة التي تزوجها عام 1966 وأنجب منها ثلاثة أولاد هم سامي، ياسين، أنيس.

نشاطه

- مدير المؤسسة الوطنية للكتاب 1989
- أمين عام مساعد لاتحاد الكتاب الجزائريين 1990
- رئيس المجلس الأعلى للثقافة (1993 / 1999)
- عضو ثم نائب رئيس المجلس الاستشاري الوطني (1992 / 1993)

جوائزه

- الجائزة التقديرية الأولى في الرواية 1987

بدأ عبد الحميد بن هدوقة الكتابة في الصحف التونسية منذ عام 1951 وكان من بينها: النهضة، الزهرة، الصباح، الشباب الجزائري. وفي عام 1952 نشر أول نص شعري بعنوان «حامل الأزهر». وعلى الرغم من بدايته الشعرية فإنه لم يكتب له الاستمرارية في كتابة الشعر، ولذلك لم يعتبره عبد الملك مرتاض جديراً بأن يصنف في طبقة الشعراء. توجه نحو الكتابة القصصية التي وجدها ملائمة للتعبير عن قضايا وإرهاصات كانت تصطرع بين جوانحه، فكتب عن الواقع الجزائري في تجلياته المختلفة انطلاقاً من البيئة الريفية في معاناتها من ويلات الاستعمار، ثم التحديات التي واجهتها غداة الاستقلال، من غير أن يغفل الالتفات إلى القضايا الإنسانية التي عايشها كمغترب في فرنسا وتونس. وبعد فترة من الصمت يبدو أنه استنفذ خلالها كل طاقته في كتابة القصة القصيرة التي لم يعد إليها أبداً؛ نشر أولى رواياته «ريح الجنوب» التي تعتبر أول رواية فنية جزائرية، أطلق على صاحبها لقب (مؤسس الرواية الجزائرية).

وقد التزم فيها بنفس الخط الذي دأب على السير فيه منذ بداياته الأدبية، وهو الاهتمام بالقضايا الوطنية والاجتماعية، وجعل محورها يدور حول المرأة والأرض، من خلال واقع قرية غداة الاستقلال، ومعاناتها مع التهميش والتخلف وسيطرة الإقطاع، أبطالها متمرّدون مشبعون بأفكار جديدة رافضة للأوضاع القائمة مصرّون على الإصلاح والتغيير، فيقعون في صراع مع قوى انتهازية مستغلة تعمل على إبقاء الأحوال على ما هي عليه، وتنتهي على احتمالات متقابلة بغد أفضل. سوف نلتبس آثاره مباشرة في عمله الروائي التالي «نهاية الأمس»

ثم يفتح قليلاً في رواية «بان الصبح» على عالم المرأة في المدينة، من خلال نموذج طالبة جامعية متمرّدة، ذات أسلوب خاص في الحياة يعكس تمرّدها ونزقها ورغبتها في المغامرة لتأكيد الذات في مجتمع رجولي تحكمه التقاليد التي تختزل المرأة من معادلة التنمية وتنشط من فاعليتها الاجتماعية، لكنها سرعان ما تقع فريسة مشاعر متباينة متناقضة تعبر عن قلقها الداخلي واغترابها إزاء مجتمع رافض يستغل أنوثتها ويرفض إنسانيتها.

وقد أفضى به التجريب في أعماله الروائية اللاحقة إلى توظيف التراث والرمز كما في روايته «الجازية والدرأوش» وهي قصة رمزية تعكس أبعاد التحولات الاجتماعية التي تعيشها إحدى القرى الجبلية، وجعل أحداثها تدور حول فتاة غامضة مثقلة بالدلالات والرموز، حيث يتنافس في حبها أناس مختلفو المشارب يمثلون تيارات الجزائر المختلفة، ولا يكاد يظفر بها أحد رغم التضحيات التي تعبر في الغالب عن أنانيتهم وسطحياتهم..

أما روايته الأخيرة «غدا يوم جديد» فهي تنديد بالأوضاع الاجتماعية والسياسية التي أفرزتها المنظومات السياسية والاقتصادية المتعاقبة، هذه الأوضاع التي رأى فيها الكاتب إجهاضاً لمشروعاته الروائية السابقة التي كان يرسم من خلالها ملامح المجتمع الجديد بعد زوال الاستعمار وانتكاسات ما بعد الاستقلال، وها هي شهادة تأتي الآن من امرأة عجوز عايشة تلك المراحل والأحداث واستيقظ فيها الوعي فجأة فبدأت في التداعي من خلال عقد مقارنة بين مختلف فترات حياتها...

مؤلفاته

قصص قصيرة

- ظلال جزائرية 1961
- الأشعة السبعة 1962
- الكاتب وقصص أخرى 1974

روايات

- ربح الجنوب 1971
- نهاية الأمس 1975
- بان الصبح 1980
- الجازية والدرأوش 1983
- غدا يوم جديد 1992

شعر

■ الأرواح الشاغرة 1967

دراسات

■ الجزائر بين الأمس واليوم 1959

■ أمثال جزائرية 1993

ترجمة

■ دفاع عن الفدائيين - جاك فرجيس 1975

■ قصص من الأدب العالمي 1983

■ قصة في إيركوتسك - ألكسي أربزوف 1986

وفاته

■ توفي عبد الحميد بن هدوقة يوم الإثنين 21 أكتوبر 1996 ودفن في مقبرة العالية بالجزائر العاصمة.

كتب عنه

■ عمر عيلان - الإيديولوجية وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة - منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2001

■ د. عبد الحميد بوسماحة - الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة - دار السبيل للنشر الجزائر 2008

■ د. سيدي محمد بن مالك - رؤية العالم في روايات عبد الحميد بن هدوقة - منشورات الاختلاف 2015

مصادر ترجمته

■ أحمد دوغان - شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر

■ الطيب ولد العروسي - أعلام من الأدب الجزائري الحديث

■ رابح خدوسي - موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين

■ روبرت كامبل - أعلام الأدب العربي المعاصر ج 1

■ عاشور شرفي - الكتاب الجزائريون

ملخص روايات عبد الحميد بن هدوقة.

ملخص رواية ربح الجنوب:

تدور أحداث رواية ربح الجنوب في قرية سكانها فقراء يعتمدون في طريقة عيشهم على الحياة البسيطة ولكم من كان هناك يعيش حياة الهناء إلا من استحوذ على أراضى الفقراء بالتحايل مثل ابن القاضي، فكان صدور قرار الثورة الزراعية بمثابة الصاعقة فكان يبحث عن التحايل حتى لا تؤخذ أراضيه، فرأى ابنته نفيسة الفتاة الصغيرة التي كانت تدرس عند خالتها في العاصمة هي الحل بتزويجها برئيس البلدية خطيب أختها السابق زليخة التي استشهدت في كمين، نفيسة ترفض الزواج هذا كليا متحدية والدها فتلجأ إلى الراعي رباح ليساعدها فظن أنها تلوح له من أجل لقاء عاطفي فتسلل إليها ليلا، فغيرته، تهرب نفيسة في وقت عرض على ريس البلدية الزواج منها من طرف والدها، أمها خيرة كانت تعيش بين بينين، ضغط الوالد المتعصب والملح على زواج ابنته حتى رئيس البلدية لا يطبق عليه قانون سحب الأراضي وبين ابنتها المتمردة التي تفضل الهرب للعاصمة بدل الزواج الغير مبرر في نظرها. تسقط نفيسة وهي هاربة تلدغ يصادفها رباح يأخذها لأمه البكماء تعالجها. لكن ولدها يجدها في بيت رباح الراعي ينقض عليه كالوحش فأم رباح لم تستطع الوقوف فكان لا بد أن تدافع على ابنتها فضربته بالشاقور.

ملخص نهاية الأمس:

نهاية الأمس هي تكملة لرواية ربح الجنوب. تدور الأحداث فيها في قرية أين كانت هذه القرية تعيش مخلفات المستعمر الذي حطم أحلام شبابها فبطل الرواية البشير الذي كان بطلا في الثورة حارب المستعمر تاركا زوجته العروس تنتظر تحقيق أحلامها مع زوجها المجاهد بعد الاستقلال كما وعددها زوجها، لكن رقية حياتها تدمرت منذ أن فجرت القرية فمات كل أفراد القرية عدا هي فتهرب لقرية أخرى فتجد نفسها متزوجة بحركي حتى يأويها هي وابنتها فريدة التي لم تتعرف على والدها البطل، تنجب رقية ابن من الحركي الذي بدأ مهنة الرعي وهو صغير، غير أن الصدفة تلعب دورها بمجيء المعلم البشير ليربي القرية بمشروع اقتصادي

تربوي، أراد أن يكون معلماً للقرية قبل أن يكون معلماً للأطفال فوقف في وجه ابن الصخري الإقطاعي الذي استحوذ على كل أملاك القرية، لكن مجرد ما عرف ابن الصخري نية المعلم البشير في تطوير القرية فبدأ الحرب ضده باتهامات وغيرها، غير أن المعلم البشير صمد وأكمل مشروعه في تحرير القرية من ابن الصخري وأمثاله، ففتح المدرسة وجاء بأهل الحركي حتى تساعده في تنظيفها الأمر الذي لم يتقبله ابن الصخري لأنها أم لحركي. رغم ذلك لم يستسلم، في يوم يلاحظ المعلم أن الصغيرة فريدة مريضة فقرّر أن يأخذها للطبيب لكن لم يقدر ذلك، رقية تندهش عند رؤية المعلم البشير الذي كان زوجها المجاهد فلم تصدق عيناها ما رأت فكانت تكتم في قلبها، حتى يوم وفاة الفتاة فريدة وبعد مساعدتهم في مراسيم الجنازة يعرف المعلم البشير أن رقية زوجته أصبحت زوجة الحركي، وأن الفتاة المتوفاة هي ابنته لتبقى النهاية مفتوحة لاحتمالات القارئ

تلخيص رواية بان الصبح:

هي رواية تتبع رواية نهاية الأمس، غير أن الأحداث هنا تدور في العاصمة ، والصراع هنا صراع أيديولوجي بحت علاوة المجاهد الكبير الذي استتفع من الثورة اسمها ومن مخالفتها قصره الذي يجمع أولاد تختلف أفكارهم ورؤياهم بنته دليلة التي تأخذ الانفتاح طريقاً لميولها الطائش تحمل من شاب والده غني يأمرها بالإجهاض، وفي نفس الوقت تستنكر ما قام به أخوها عندما رآته يحمل فتاة في سيارته، نعيمة ابنة أخ علاوة التي جاءت الى العاصمة لتحقيق أحلامها إذ بها تجد نفسها تحت عينا ابن عمها المتزوج الذي يتهمها بالتملق عليه هروباً من لوم زوجته، نعيمة الفتاة المتخلقة تستغل دليلة اسمها في التراسل بينها وبين صديقها، حينها تقع نعيمة في فخ دون قصد من ابنة عمها دليلة أين تذهب ضحية اتهام خطير في شرفها عندما كتب صديق دليلة رسالة بعنوان نعيمة، أين يقرأ عمها الرسالة ويفهم أن ابنة أخيه في ورطة حمل غير شرعي. لكن القدر ينصف نعيمة.

تلخيص رواية الجازية والدرأيش:

هذه الرواية أحدثها مغامرة تماماً لسابقتها، فهي تتحدث عن عالم روحاني اعتقادي، المتمثل في الجازية الامرأة الروحانية والدرأيش الذين يقوموا بالحضرة إرضاء للجازية إن

غضبت، الجازية هي حلم كل شاب سمع بها على الأقل يريد رؤية جمالها المنير من تحت النقاب، وتمحورت أحداثها في حيزين السجن حيث السجين المتهم بقتل الطالب الأحمر المتطوع وهو شاب جاء مع الشابة صفية لمعاينة الأرض التي يدعي فيها الشامبيط بأنها لم تعد صالحة للعيش، بل يجب أن يقام فيها سد يحوي الماء باعتبارها تقع في منحدر، وهذا فخ من أجل أن يستحوذ عن أراضي القرية، بعد ترحيل سكانها الى قرية جديدة، فلما اكتشف الشاب الأحمر بالأعيب الإقطاعي فكتب تقريراً ينفي كل ما جاء به من ادعاءات، فقام بقتله، حينها وجهت التهمة لعابد على أساس غيرته على الجازية التي رقست معه في الزردة لأنه كان يريد خطبتها، فبعد تحريات من الصافية وجدت التقرير وأخذته الى السجن لتبشره، أما الحيز الثاني وهو القرية. فالكل يريد الجازية الكل يريد حضورها في الزردة التي ستقام، خوف ناس القرية من ترحيلهم من قريتهم التي تعتبر أراضيهم ومعيشتهم ماضيهم المشرف لأنها كانت مسرح لمعارك عديدة ضد المستعمر الشامبيط يغري السكان بترحيلهم لقرية جديدة مستوية فيها سبل الحياة أسهل، لكن اتحاد سكان القرية ووقوفهم وقفة واحدة وثورتهم ضد الإقطاعي أدى الى فشل حيلته.

تلخيص رواية غدا يوم جديد:

تدور الأحداث في الريف أين كانت مسعودة فتاة صغيرة تذهب لجلب الماء مع صديقاتها وهناك يحلو الحديث في ظل لقائهن مع الشباب عند العين قدور الذي يعمل في الميناء بالعاصمة أراد الزواج فخطب خديجة الفتاة البريئة التي اتهمت بأحد شبان القرية، فسمع قدور ذلك فقام بفسخ خطبته عليها، فيخطب مسعودة التي كانت تنتظر هذه الصدفة لتخرج من هذه القرية البائسة الى العاصمة أين الحياة الوردية، لكن قدور جعل الحياة الوردية حياة سوداء بتعصبه وقلة حيلته، هنا تبقى مسعودة الحامل مشتتة، بين شوارع العاصمة، أين تعمل عند فرنسية كمنظفة، حيث اخذت منها الحضارة في ضل غياب زوجها المسجون بجريمة قتل عمدي. فمسعودة تروي قصتها للكاتب وفي صوتها الندم والتأسف والجدية حيث تحلم أن تغسل عظامها بماء زمزم.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم

الروايات والكتب:

1. احلام معمرى، نشأة الرواية الجزائرية، 2014.
2. احمد رضا حوحو، غادة ام القرى الجزائر.
3. ادوارد سعيد، المحاورون الأنثروبولوجيون، الهيئة المصرية، 2006.
4. ازهرى مصطفى صادق، مقدمة في الأنثروبولوجيا، جامعة الملك سعود، 2013.
5. بلقاسم فرحاتي، تجربة علوم الانسان دار الحكمة.
6. بيرلي جلتون، دراسة الأنثروبولوجيا، دار الحكمة.
7. جليل دراون، الأنثروبولوجيا ورموزها، بيروت، 2006.
8. جورج بالأندية، الكتاب الالكتروني.
9. جون بول ويليم، في علم اجتماع للدراسات والنثر.
10. جيمس جوج، الغصن الذهبي، 2011.
11. حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا.
12. داود محمد، البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي، الجزائر.
13. روزلين قريش، القصة الشعبية، الجزائر، 1980.
14. سعاد محمد حضر، الأدب الجزائري المعاصر، بيروت، 1985.
15. سميث شارلوت سيمون، موسوعة علم الإنسان.
16. سندس محمد عباس، انثروبولوجيا الأدب.
17. السيد حامد، أدب توفيق الحكيم.
18. سيدي محمد بن كالك، رؤية العالم في روايات ابن هدوقة.
19. عائدة اديب، تطور ادب القصص، الجزائر.

20. عبد الحميد ابن هذوقة، رح الجنوب - نهاية الأمس - بان الصباح -جازية والدراويش - غدا يوم جديد.
21. عبد الرحمان الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، القاهرة، 2007.
22. عبد الله الركيبي، تونس، 1971.
23. عبد الله عبد الغاني، الأنثروبولوجيا الثقافية، الإسكندرية.
24. عبد الله ابراهيم، السردية الحديثة.
25. عمر قينة، الريف والثورة في الرواية الجزائرية.
26. عيسى شماس، اتحاد كتاب العرب، 2004.
27. غيبوب باية، الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مئة عام من العزلة.
28. فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبية.
29. فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، دار البيضاء، 2004.
30. مارك اوجيه، الأنثروبولوجيا دار الكتاب.
31. مجموعة من الأساتذة بحوث في الأنثروبولوجيا العربية.
32. محمد الطمار، الروابط بين الجزائر والخارج، 1983.
33. محمد المسعودي، الملتقى الدولي الحادي عشر، برج بوعريش، 2009.
34. محمد، مصاريف النثر، الجزائر، 1983.
35. مخلوف عامر، تجارب قصيرة مقالات نقدية، المؤسسة الوطنية، 1984.
36. مصطفى الأشرف، الجزائر، 1983.
37. مصطفى عبد الغاني، الإتجاه القومي في الرواية، 1999.
38. نوالي خالد، المنهج الأنثروبولوجي صوصيولوجيا الأدب، 2013.

مصادر اجنبية:

1. Cloude levi strauss Anthropologir 974

المجلات:

1. تقي الدين مقال شرح الأنثروبولوجيا مجلة الكترونية 2021
2. جيمس مارتر تطور الرواية الحديثة قسم الروايات 2016
3. حمدي عابدين متى ظهرت الرواية في المغرب العربي
4. صالح مفقورة ابحات الرواية العربية
5. فاروق فور ستيف الرواية العربية 1970
6. قوالي خالد المنهج الأنثروبولوجي مجلة الشامل 2021
7. مجلة الشامل العلوم التربوية والإجتماعية 2021
8. موقع مبعث للدراسات الأنثروبولوجية
9. موقع مبعث للدراسات الأنثروبولوجية

الفهرس

فهرس المحتويات

مقدمة: أ

الفصل الأول: المنهج الأنثروبولوجي

تمهيد: 5

1- مفهوم الأنثروبولوجيا: 6

2- أهداف دراسة الأنثروبولوجيا: 6

3- محاور الدراسة الأنثروبولوجية: 7

4- أقسام الأنثروبولوجيا: 8

5- علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب 14

6- المنهج الأنثروبولوجي: 17

الفصل الثاني: الرواية تصور اقع الإنسان

تمهيد: 24

1- مصطلح الرواية: 25

عناصر بناء الرواية: 25

2- دور الرواية في تصوير الواقع 30

3- الرواية المغاربية وخصوصيتها: 32

4- الرواية الجزائرية وخصوصيتها: 33

5- الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية: 34

6- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية: 36

الفصل الثالث: ابن هدوقة يصور واقع الإنسان الجزائري

تجليات الأنثروبولوجيا في روايات بن هدوقة الخمس ثلاثية المرأة والأرض الثورة 42

تمهيد: 43

45.....	1- المرأة في روايات ابن هذوقة.....
58.....	2- الأرض في روايات ابن هذوقة:.....
74	الخاتمة:.....
78	الملحق:.....
83	ملخص روايات عبد الحميد بن هذوقة.....
87	قائمة المصادر والمراجع
91	فهرس المحتويات